# مع الغرباء



هارون هاشم رشيد

رابطة الأدب الحديث
بالقاهرة

هارون هاشم رشيد
شاعر فلسطين القومى



# مع الغرباء

رابطة الأدب الحديث بالقاهرة
١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

المطبعة المنيرية بالقاهرة

# الإهداء

إليهم . . . قصيدى وما أنظم	وشعرى وما فى دمى يضرم
إليهم . . . إلى إخوتى اللاجئين	إلى إخـــوتى يوم يدعو الدم
إليهم وإن سكنوا فى الكهوف	وفوق روابى الأسى خيموا
إليهم سأشدو بشعر الحياة	ومنهم بروحى سأستلهم

• •

إليهم ، وإن حطمتنا الخطوب ،	وأرهقنا الحادث المؤلم
وجار علينا الزمان العتى	وأنهكنا الناب والميسم
إليهم سأشدو بشعر الحياة	سأشدو ، وأشدو ، وأستلهم
فيصحو على شعرى السادرون	ويستيقظ النفر النوم

هارون هاشم رشيد

65-14

ج

## مقدمة ودراسة للديوان

تحتفى رابطة الأدب الحديث ، ويحتفى الأدباء والشعراء والنقاد ، بهذا الديوان الجديد ، لشاعر فلسطين القومى ، الأستاذ هارون هاشم رشيد ، صاحب هذه الأنغام العذبة ، والموسيقى المؤثرة ، والصور والألوان الرائعة البديعة ، التى اشتملت عليها قصائده .

وشاعرنا عربى ، تتدفق دماء العروبة فى قلبه ونفسه ، ويزخر شعره بنداء القوة والحياة والحرية والمجد ، وقد هزته نكبة « فلسطين » الشهيدة هزا عميقا ، ظهر أثره وصداه فى شعره وقصائده ، هذه القصائد الجديدة فى الشعر العربى المعاصر ، بما تشتمل عليه : من خصائص وميزات ، ومن بلاغة وطبع وجمال فنى خالص ، ومن عواطف مشبوبة ، وخيال رفيع ؛ وذوق سليم ، وشاعرية موهوبة ، وصور وأساليب هى فى جملتها تمثل فصاحة الأسلوب العربى وعذوبته ، وتنطق عن خصب فى عقل الشاعر وشعوره ، وعن دقة إدراك لروح القصيدة وعناصرها ، وعن وطنية متدفقة تنطوى عليها جوانح الشاعر ، وإيمان بقضية بلاده « فلسطين » المعذبة ، التى تحالف عليها جنود الاستعمار والصهيونية والسياسة الدولية الغاشمة ، وشرد أهلها فى كل مكان ، وصارت هذه الخيام المنصوبة للاجئين المنهوكين من أبنائها تمثل أفظع صور الوحشية لإنسانية الغرب فى القرن العشرين ، ومدى احترام

الديمقراطيات لحقوق الإنسان ، وللمواثيق الدولية .

والشاعر يصور فى الديوان هذه النكبة ، بكل ما أحاط بها من فظائع وجرائم وآثار ، ويقص علينا قصة اللاجئين فى خيامهم ، والمشردين النازحين المغتربين عن وطنهم فى كل مكان ، والبؤس والحرمان والتشريد والعذاب الذى أصاب اللاجئين ، وهو مع ذلك مؤمن بوطنه وشعبه ، مؤمن بقضية بلاده ، وبحقها . فى الحياة والبعث من جديد ، وفى الكرامة والحياة الإنسانية ، وفى أن يعود اللاجئون إلى ديارهم وأموالهم وزروعهم وثمارهم ، وفى أن تعود فلسطين كما كانت حرة عربية عزيزة .. كل ذلك فى ثقة وأمل وتفاؤل كثير بالمستقبل .

ولا تكاد تجد شاعراً آخر له هذه الصور عن اللاجئين وحياتهم وخيامهم وشقائهم وعذابهم الذى يعيشون فيه . ولم يظهر لشاعر فلسطينى ديوان من الشعر ، بعد النكبة ، سوى ديوان « وحدى مع الأيام » لفدوى طوقان الشاعرة الفلسطينية المجيدة ، وإن اختلفت نغمات الشعر عند شاعرنا وعند « فدوى » ، فنجد ظلال الحزن واليأس أغلب على الشاعرة ، ونجد ظلال التفاؤل والأمل والإيمان بالمستقبل أغلب على الشاعر .. ونجد نكبة فلسطين وحياة اللاجئين أكثر وضوحاً فى شعر الشاعر وقصيده .

وسيمضى الزمن ، والفلسطينيون مشتتون فى الأرض ، ولكن سيجمعهم على الوحدة ، والتصميم على العودة ، والعزم على الكفاح من أجل البعث ، شيئان : أولهما : روح العروبة الثائرة المنطلقة ، المعتزة بمجدها التليد ، وبطولتها المأثورة ، ورغبتها فى الكفاح من أجل الحرية والوطن العزيز ،

وثانيهما: شعر هارون هاشم رشيد بما اشتمل عليه من ألحان وأناشيد ودعوة قوية إلى استعادة فلسطين وتحريرها وإنقاذها من النير الصهيوني الغاشم المستعبد . . نعم ، سيمضي الزمن ، ويتجمع الفلسطينيون من كل مكان للزحف على العدو الغاصب وطرده من أرض الوطن ، وسيكون شعر هارون هو النشيد العذب في فم كل فلسطيني مغترب لاجيء في كل مكان .

ويمثل ذلك كله قصيدة الشاعر التي جعل عنوانها « أخي » ، وأهداها إلى أخيه الفلسطيني أينما حل ، وفيها يقول في روعة وجمال وبلاغة :

أخي : أينما سرت في أي قطر ستمضي وراءك أبيات شعري
بعصف ، وإعصار نار ، وجمر وتهدى اليك عصارة فكري
تقول : فلسطين لاتنسها فمن نبتها أنت من غرسها
ومن عزها أنت ، من بؤسها ومن مجدها أنت ، من قدسها
تذكر أخي كل شبر هنا إذا ما انطلقت تجوس الدنا
فلا تنس أن تذكر الموطنا وتسعى إليه غدا مؤمنا
سنمشي إلى الأرض نحمي حماها ونمضي أعزاء نروي ثراها
سنحيا فداها ، ونقضي فداها ولا ، لن نريد بديلا سواها
أخي : أينما سرت شعري يسير ويدفق إحساسه والشعور
لقانا غدا يوم يدعو النفير أخي : وهناك ، هناك ، المصير

وكذلك قصيدته « نشيد فلسطين » ، وهي نغمة ألم ، وأمل في بناء فلسطين العربية من جديد .

إن هذه الأنغام الحلوة لا يمل أحد ترديدها ، ولا يسأم إنسان من الغناء

بها ، وهى قطعة حية من نفس كل فلسطينى حر أبى ، يهزه الحنين إلى أرض الوطن ، وتخنقه العبرات للحاضر المؤلم الذى يعيش فيه أبناء وطنه ، ويلوذ بالصبر والأمل والتفاؤل بمستقبل بلاده وبالبعث الجديد فى الأرض المقدسة .

والشعر الفلسطينى المعاصر يمثله شاعرنا هارون هاشم رشيد ، وفدوى طوقان ، والمرحوم ابراهيم طوقان ، وطائفة من شعراء الشباب هزت أحداث فلسطين ومصيرها مشاعرهم ونفوسهم هزا عنيفا ، فنطقوا بالشعر يترجمون فيه صور الحاضر ، وأحداث الحياة ، والكفاح من أجل الوطن .. ولم نجد ديوانا لفلسطينى ، يكاد يكون وقفا على الشعر الوطنى والقومى ، وعلى تصوير النكبة التى نكبت بها الأرض المقدسة الطاهرة ، قبل هذا الديوان ، الذى فرحنا بظهوره فرحا بالغا ، واستقبلنا مشرقه استقبالا كريما .

وتتعدد دواوين الشعر المعاصر ، وقد يغنى بعضها عن البعض ، ولكننا لانجد ديوانا قديما أو حديثا أو معاصرا يغنى عن هذا الديوان ، الذى هو بحق ديوان فلسطين ، ونشيد البعث والحرية واليقظة والعودة ، وهتاف المجد للفلسطينيين المشردين المغتربين عن بلادهم العزيزة .

والدارس للديوان لابد أن يدرس أولا قصيدته الرائعة المؤثرة العذبة الحزينة : « قصة (١) » ، التى نظمها عام ١٩٥٠ ، وذكر فيها قصته فى الحياة ، بل قصة أسرته التى ماتت شهيدة على يد الاستعمار فى فلسطين ،

(١) ص ٥٠ – من الديوان

وتقع أحداث هذه القصة قبل تاريخ نظمها بعشرين عاما ، أى عام ١٩٣٠ :

قصة قد حدثت بالأمس من عشرين عام
حدثت فى عهد الاستعمار ، فى عهد الظلام
حدثت فى قريتى الخضراء فى أرض السلام
كلما أذكرتها اهتزت من الرعب العظام

وفيها يذكر الشاعر القصة بملامحها وظلالها وحواشيها ووقتها ومكانها ، يذكرها فى أسى ولوعة وحزن عميق ، فى مساء يوم من أيام الربيع ، بات الطفل الشاعر ، وباتت أمه فى قلق عجيب ، وكانت الأم تنتظر أحداثا جساما ، ويقص الشاعر علينا : كيف بات ؟ وماذا أكل ؟ فيقول فى واقعية عجيبة :

فتكومت إلى بعض حصير أتململ
والدجى يمعن فى السير حثيثاً يتغلغل
وأتت أمى بخبز وقليل من « مخلل »
وأكلنا بعض شىء ، ليت شعرى ، ليس يؤكل

ثم يصف الفزع الذى استولى على المنزل فى ذلك الليل القاتم ، وكيف حاصرت جنود الاستعمار هذا المنزل مع الفجر ، ثم دعا العمدة أم الشاعر ، أم محمود ، يسألها عن زوجها ، الذى أقلق الاستعمار ، وسبب له متاعب جمة فى فلسطين ، فنفت علمها بمكانه . ففاجأها جندى من جنود الاستعمار الانجليزى بالرصاص ، فإذا هى تهوى إلى الأرض شهيدة من شهداء الحرية فى الأرض المقدسة ، ثم يتابع الشاعر القصة ، فيقول :

ومشى الجند ، مشوا من فوق أمي

وأنا أصرخ من رعب ، ومن بؤس [illegible]

وتكاد الخيل أن تدفن فوق [illegible]

غير أن العمدة المسكين يحميني ويهز ليتمي

ولم يكتف الاستعمار بما صنع ، بهذه الجريمة الوحشية ، بل أحرق القرية كلها . .

ويسائل الطفل الشاعر عمه العمدة فى لهفة وأسى ، قائلا :

عم يا عمدة : ماذا كان - عمي - ذنبنا ؟

ولماذا قرروا أن يحرقوا أبياتنا ؟

أترى تعرف يا عم ، أتدرى ، جرمنا ؟

أم ترى تجهل ما بيته الظلم لنا ؟

وخرج الناس من قريتهم العزيزة ، يشهدون حطامها ، ويشاهد الطفل منزله ، والنار تلتهم كل شيء فيها وفيه . . فكان لذلك أثره النفسى العميق فى الشاعر ، مما يصوره فى أبياته المؤثرة :

من هنا قد بدأت مأساة عمري

بدأت قصة آلامي وأحقادي وثأري

من هنا قد شبت النار فى أعماق صدري

وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري ؟

ثم يصف الشاعر جهاد أبيه الشهيد فى سبيل حرية بلاده ، ويصف العداوة التى شبت فى صدره للإنجليز وجنودهم . ويردد فى لحن عجيب مؤثر :

لن ينام الثار فى صدرى ، وإن طال مداه
لا .. ولن يهدأ فى روحى وفى قلبى لظاه
صوت أمى لم يزل فى مسمع الدنيا صداه
وأبى مازال فى سمعى ، وفى روحى نداه :
أنْ تقدم ثابت الخطو إلى الحق ، تقدم
وتقحم حالك الأهوال للثأر ، تقحم

والقصيدة فى جملتها جديدة التصوير ، قوية التأثير ، عذبة التعبير .. وهى وحدها شاهد حق على هذه الشاعرية الموهوبة العالية ، التى تستمد من السماء إلهامها . ومن الحرية أناشيدها وأنغامها ، ومن آلام الحاضر ومحنة الحياة فيه فلسفة التفاؤل والأمل والايمان بيوم البعث ، الذى لابد أن تشهده أرض فلسطين الطاهرة عما قريب .

والشاعر يكثر من الحديث عن يافا ، مما نجده فى قصيدته « مع الثريا » ، وفى قصيدته « هناك بلادى » ، وفى قصيدته « يابلادى » ، وفى قصيدته «أخى» ، و « المولد النبوى » ..

وقد تكون « يافا » هى موطنه الحبيب الأثير لديه ، بعد أن أحرقت قريته الصغيرة يد الاستعمار الإنجليزى وجنوده فى فلسطين عام ١٩٣٠ ، وربما كانت هذه القرية قريبة من يافا ، وقد تكون بعيدة .. وربما كان حب الشاعر ليافا لأنه قضى فيهـا مرحلة تعليمه ، أو لأن له أقارب عاش معهم فيها حينا من الزمان .

وفى مطلع الديوان نجد قصيدة «مع الغرباء» المؤثرة ، ذات اللحن الحزين المتدفق العذب ، الذى لا يمل سماعه وترداده . . وهى عبرات منظومة ، فى حديث شجى بين ليلى الفتاة اللاجئة فى معسكر البريج بقطاع غزة ووالدها الهرم الشيخ :

أتت ليلى لوالدها وفى أحداقها ألم
وفى أحشائها نار من الأشواق تضطرم
وقد غامت بعينيها طيوف هزها السقم
وقد نام البريج أسى فلا صوت ولا نغم

وهكذا يصف الشاعر ليلى الفتاة ، ثم ينتقل إلى وصف والدها الهرم ثم يدور الحديث بين ليلى ووالدها ، وعلى أى شىء يدور الحديث ؟ إنه ليس هناك أعز من فلسطين وطن الشاعر ، فلسطين التى غزاها جماعة من السفاحين واللصوص يؤيدهم الاستعمار بكل قوته وماديته ، فلسطين التى طرد سكانها ، وشرد أهلوها ، وصارت الأندلس الجديدة ، وصار مصرعها تاريخا لأعظم نكبة أصيب بها الشرق العربى فى القرن العشرين ، بيد الاستعمار والمستعمرين . . وبماذا تتحدث ليلى إلى والدها ؟ إنها تتحدث أولا عن غربتها ، وغربة أهليها ومواطنيها ، وعن الشقاء والبؤس والحرمان والفقر الذى يعيش فيه اللاجئون ؛ ثم تتحدث بعد ذلك عن وطنها الحبيب المجيد وذكرياته العزيزة ، وذكرياتها فيه :

لمـــاذا نحن يا أبتى لماذا نحن أغراب ؟
أليس لنا بهذا الكو ن أصحاب وأحباب ؟

يمر العام إثر العا م يا أبتى بلاجدوى
فلا أمل ، ولا بشرى ولانجوى ، ولاسلوى
سوى الآلام والشجن سوى الأحزان والمحن
سوى صوت من الأقدا ر يهتف دائما وطنى
لمــاذا نحن لانزر ع أحرارا بأيدينا ؟
ونأكل خير موطننا ونعطيه ، ويعطينا ؟
لماذا نحن فى الخيم ة ، فى الحر ، وفى البرد ؟
ألا نرجع للبيت والحقل ، وللمجد ؟

ثم يقص الشاعر قصة ليلى مع والدها ، حين سألته عن أمها « التى ذهبت ولم ترجع ، وعن أخيها « أحمـــد » الذى مات واستشهد ، وعن صاحبتها سلوى اللاجئة التى استحالت إلى عيون فيضها ألم ، وجسم كله سقم ؛ وعن مدينتها المحبوبة « يافا » ، وغرفتها فى منزل أبيها فى المدينة ؛ وكيف لاذ والدها بالصمت ، ثم استحال إلى قوة من الإيمان بالمستقبل ، وهو يقول

فيصرخ سوف نرجـــعه سنرجع ذلك الوطنا

ويصمم على مايقول فى تفاؤل وثقة :

فصبرا يا ابنتى صبرا غداة غد ، لنا النصر

وهكذا نجد ظلالا من الواقعية العجيبة ، والصور العذبة المطبوعة ، والخيال الجنح بألوان زاهية من إشراق العاطفة وثورتها واحتدامها ، مع البساطة والرقة ، والحنان فى الأسلوب والألفاظ ، والقوة فى الرنين والنغم والموسيقى ، ومع البلاغة والتأثير .

والشاعر فى القصيدة الثانية « أين المفر » يصف حياة اللاجئين فى الشتاء وصفا مؤثرا حزينا باكيا ، ويتساءل فى ألم عميق عن صانعى هذه النكبة ، ومرتكبي تلك الجريمة الإنسانية ، التى لامثيل لشدتها ، فيقول .

ليت شعرى : أين الذين رموهم     فى جحيم من العذاب وفروا ؟

ثم يتحدث عن يقظة الشعوب فى عصر الحرية :

الشعوب استفاقت اليوم يهدى     خطوها للعلى وللحق ثأر

ويطالب بإنقاذ البقية من اللاجئين :

أنقذوا ، أنقذوا ، البقية منا     فهنا الموت جاثم مستقر

والقصيدة الثالثة « سأزرع أحلامى » يدعو فيها الشاعر رفاقه وإخوانه ، من أهله ومواطنيه إلى الكفاح والعمل ، من أجل إعادة فلسطين العربية حرة عربية كما كانت ، ويعبر فيها الشاعر عن إيمانه وثقته بالمستقبل ، وبثمرة الكفاح من أجل وطنه الشهيد .

والقصيدة « مهاجرون » يتحدث فيها عن هؤلاء المهاجرين اللاجئين ، ومحنتهم فى حياتهم ، وخيامهم وقد ضاقت بمن فيها الخيام .. ثم يختمها بثقته فى مستقبل شعبه الحبيب :

بشرى : فلسطين الحبيبة يوم ينتفض الحطام

سنثيرها شعواء تلتهم اليهود وما أقاموا

وقصيدة الشاعر « أحزان لاجئة » يتحدث فيها عن الآلام النفسية للاجئة حزينة ، وكيف ضاقت ذرعا بهؤلاء الذين يحلو لهم أن يغرروا بالأعراض الطاهرة ، وكيف أعطت هؤلاء دروسا لاتنسى أبدا ، ويقص

إيمانها بوطنها ، وأنه غدا لابد أن يعود ، يعود اليها .

وفى قصيدته « هناك بلادى » يذكر ذكرياته فى وطنه ، والمدن الفلسطينية الجميلة ، التى اغتصبها اليهود من أيدى سكانها . ويذكر القرى الفلسطينية التى تلوح من خلف الحدود :

وخلف الحدود تلوح قرانا     تكاد على بعدها أن ترانا
تكاد تشق الينا الزمانا     فما عرفت للمعالى سوانا

ويؤلمه الحاضر المرير تحت الخيام الممزقة فيثور صارخا :

ويرحل عام ، ويشرق عام     ونحن كما نحن خلف الخيام
نقاسى صنوف الأذى والسقام     ونمشى مع البؤس أنى أقام

ولكن الشاعر لايفقد فى المحنة أمله ، فيقول :

بلادى وإن آلمتنا الجراح     وان فرقتنا سياط الرياح
فنحن على العهد عهد الكفاح     سنبقى الى أن يطل الصباح

وفى قصيدة الشاعر « على صخرة الانتظار » يقص قصة فلسطينية فقدت زوجها فى ميدان الشرف ، ولا تمل أن تخرج كل يوم إلى صخرة كبيرة بجوار أحد معسكرات اللاجئين ، تناجيها وتناجى زوجها الذى كر وضاع خلف الغبار .

وقصيدته « النسر الجريح » من أجمل صور الشعر فى ديوان الشاعر ، وهى حافلة بصور رمزية بديعة ، والشاعر يدعو فيها وطنه الى أن ينهض من جديد ، وألا يستسلم للأحداث ، ويدعو الشباب الفلسطينى الى محاربة

اليأس والقنوط ، ويدعو النسر الجريح الى أن يطير من جديد محوما فى السماء :

أليس من العار موت النسور  على الأرض لا فى عنان السما ؟
تحامل ، وغلغل وراء الخطوب  وأطلق جناحيك ، أطلقهما

وقصيدته موعد للثأر ألقيت فى وضع الحجر الأساسى لمستشفى الرحمة بمدينة خانيونس عام ١٩٥٤ ، وفيها يشكر الشاعر مصر صاحبة اليد البيضاء على فلسطين وأبنائها اللاجئين ، ويستنهض همة شعبه للكفاح والجهاد من أجل فلسطين العربية ، ويختمها بقوله :

سوف نأتيها وان طال المدى  بجنود النصر تحت العلم
فاعملى يا أمتى صابرة  ولغير السيف لا تحتكمى

وفى قصيدته « العيد يوم الثأر » يصف قدوم العيد على وطنه المنكوب ، على الخيام الحزينة ، وسكانها المشردين ، ويهتف فى آخرها صارخا :

وطنى ، وبى شوق اليك يهزنى  وطنى وعيدى أنت يوم تعود
لابد أن نلقاك يا وطن الملا  وعلى رباك عدالة وسعود

ويخاطب الشاعر إخوانه اللاجئين ، الذين يطالعون العيد فى حسرة ولوعة ، فى قصيدته « أعيد الفطر » ، ويصف فيها قدوم العيد على الخيام الكئيبة ، ويسائل العيد فى حزن عميق : هل للاجىء المحروم عيد ؟ وهل للهائمين الأحرار المشردين فطر ؟ .

ويقص الشاعر قصة « معلمة لاجئة » فى قصيدة له بهذا العنوان ، وقصة صداها الذى سكت ، ووجهها الذى غاب إلى الأبد ، بعد كفاح طويل من

أجل الثقافة والحرية وأبناء فلسطين المعذبة .

ويهدى الشاعر قصيدته « جنبا إلى جنب » إلى المثقفات من بنات الجيل وقد خاطب فيها ليلاه « أغرودة الأمل الحبيب الأرفع » ، يطالبها بالجهاد من أجل إخوتها الصغار اللاتى أوصاها بهن أبوها الشهيد . ويختمها بدعوة حارة إلى القوة ، هاتفا :

ليلاى لايجدى بهذا العصر صوت الأدمع
والحق ، إن الحق لا يأتى بغير المدفع
فتحصنى ما اسطعت بالأمل الحبيب ، وأبدعى
فامضى ، نذوب مع الحياة على طريق المرجع
هيا اعملى يامنيتى جنبا إلى جنب معى

وهكذا تتوالى قصائده : « لاجىء فى العيد » التى تفيض حزنا وأملا و « كيف تعود؟ » وهى قصيدة بديعة رفيعة البلاغة ، ناجى فيها الربيع ، وساءله : هل يعود يطلع على ريف فلسطين الشهيدة ، وكيف يعود الربيع عليه ، وقد شتت أهلها فى كل مكان ؟ ثم يمضى الشاعر فيها هاتفا فى نغم جميل :

أنا هاهنا زفرة منهم تكاد على صبرها تصرع
أنا ، والحنين ، وهذا الظلام وهذا التحرق ، لانهجع
متى - ياترى - يرجع النازحون متى بهم تزهر الأربع ؟

والبيت الثانى من هذه الأبيات ليس لجماله نهاية . ثم هذه قصيدته « دموع ودماء » ، التى يخاطب ويناجى فيها « نبى السلام » ، باكيا بلاده الممزقة المنهوبة . وقصيدته « يا بلادى » التى يناجى الشاعر فيها بلاده

ويقول فى جمال وحلاوة وبلاغة :

يوم تدعين ألف لبيك منا سوف تمشى الخيام بالأوتاد

وقصيدته الرائعة « الإهداء » ، يهدى فيها أناشيده الجميلة إلى اخوانه اللاجئين ، قائلا فيما يقول :

إليهم سأشدو بشعر الحياة ومنهم بروحى سأستلهم
إليهم وان حطمتنا الخطوب وأرهقنا الحادث المؤلم
إليهم سأشدو بشعر الحياة سأشدو ، وأشدو ، وأستلهم
فيصحو على شعرى السادرون ويستيقظ النفر النوم

وقصيدته الجميلة « سنعود » ، وهى من أغانى العودة ، ومطلعها :

سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاء وقسوة الزمن

ويقول فى آخرها :

سنعود فى ركب الحياة ونعود أحرار أباه

وهى شبيهة بترانيم الشابى ، وهنا نقف وقفة قصيرة عند قصيدته « الى النازحين » التى يقول الشاعر فى مطلعها :

أخى فى الكويت ، أخى فى اليمن أخى فى الحجاز ، أخى فى عدن
أخى رغم ليل الأسى والدموع وليل الشقاء ، وليل المحن
سألقاك يوما قوى الجناح عزيزا ، هنا ، فى رحاب الوطن

وتتوالى صورها ومشاهدها وظلالها وخيالاتها فى جمال وعذوبة وبلاغة وموسيقى حلوة حزينة موثرة ، ويختمها بقوله :

أخى نفض اليأس عن عارضيك ونفض غبار الأسى والوهن

وصبرا ، فلا بد للبائسين بأن يثأروا رغم أنف الزمن
ولا بد أن يرجع اللاجئون وأن يصعدوا فوق هام المحن

وهى نشيد رفيع ، ما أجمل صداه ، وأعذب موسيقاه ، وجدير بها أن تكون نشيدا لكل فلسطيني وفلسطينية .

ويسخر الشاعر فى قصيدته « ياصاحبي » بخرافة « مجلس الأمن » ، و « هيئة الأمم المتحدة » ، وهو يردد :

سنحل نحن قضية بليت على أخذ ورد
إنا على وعد غدا فلنستعد لخير وعد
فإذا تعبت أشد زنـ ـدك ، أو تعبت تشد زندى
وأصون عهدك فى دمى ياصاحبي ، وتصون عهدى

ويحيي الشاعر كفاح إخوانه من شباب مصر ، فى القنال ، عام ١٩٥١ ، ويستثير عزيمة كل شاب فى وادى النيل للكفاح من أجل حرية مصر والسودان والعرب فى كل مكان : فى قصيدته « أخى فى القنال » ، وفى قصيدته « كتائب التحرير » وفى قصيدته « نبع الخلود » التى يناجى فيها النيل ، ويصف جهاد شبابه فى القنال .

وفى قصيدة « زهرة لاجئة » يصف أثر النكبة فى امرأة عربية فلسطينية ، ساقها الجوع إلى الأوحال . . وأهداها إلى الزهرة المعفرة ، التى اضطرتها أعاصير الخريف أن تترك الذرى ، لتموت بين الأوحال ، بعيدة عن الجبل .

ومن بديع قصائده «عائد من الميدان» ، التي يقول فيها :

ها أنا عدت وساقي بقيت في فلسطين حديث الحقب
ويدي قد جاهدت صابرة ثم طارت في سماء النوب
لم أشوه ، إنما جملني أنني عدت بأسمى الرتب
النياشين التي أحملها ناطقات بالحديث العجب
العلا قد سرت في موكبها فإذا الشعب جميع الموكب
يا أخي الجندي ، يا كل المنى ياصديق ، يا ابن أمي ، وأبي
انها مصر على الدنيا زهت وسمت فوق جبين الكوكب

وكذلك قصيدة «إرادة الشعب» التي يتحدث الشاعر فيها عن ثورة جيش مصر ، وكيف كانت انتصارا لارادة شعب مصر في الحرية والحياة الكريمة ، ويختمها بقوله :

يامصر يا أمل الشعوب جميعها سيري ، فعين الله نحوك تنظر

ومن روائع شعر الديون قصيدة «غرباء» التي يقول في آخرها :

غرباء غدا نعود الى الأر ض ، الى المجد ، أو نموت ونفنى

وهي نحو خمسة وعشرين بيتا ، وجميع أبياتها تبتدىء بكلمة «غرباء»..

وكذلك قصيدة «قالت تسألني» ولا تسأله حبيبته عن متعة أو حظ أو شيء مما يهم الناس ، وانما تسأل الشاعر : أنرجع للوطن ، أنعود الى أرض فلسطين المطهرة ؟ . . وكذلك قصيدة «إني مللت» التي تشوبها نزعات من الحيرة والشك والتساؤل والفلسفة الغامضة المبهمة ، مما هو

أثر نفسي للنكبة وأحداثها ، وفي آخرها يقول الشاعر في حيرة عميقـــة :

إني مللت ، مللت قولي دائما : لا ، لست أدري

وكذلك قصيدة « إلى أين » ، و « يابلادي » ، وحيفا ، و « أين مني » التي يقول في مطلعها في جمال وطبع وبلاغة وعذوبة :

أين مني القيثار والصهباء والغناء الجميل؟ أين الغناء؟

ويستمر في هذا التساؤل الجميل ، إلى أن يقول :

فجأة ، وانطوى البساط وجفت خمرة الكأس ، واختفى الندماء

فإذا الموطن العزيز ذليل وإذا الأهل ، أهله ، غرباء

وهكذا نقرأ روائع الديوان : قصيدة بعد قصيدة ، وعبرة إثر أخرى وذكرى إثر ذكرى : « سنرجع مرة أخرى » ، « والمولد النبوي » ، و « سنذيقهم مر العذاب » . . إلى آخر هذه القصائد الجميلة الممتعة .

والديوان نموذج عال من البلاغة للشعر ، وللمذهب الواقعي فيه ، ويفيض بأنغام من الشعر المهجري ، ومن موسيقى شعراء مدرسة أبولو ، وتختفي فيه كثيرا صور الكلاسيكية ببلاغتها القديمة .

ومن صور الخيال اللطيف في شعر الشاعر قوله :

منجل الذعر في رباها مغـــير يحصد الزرع ، فالربى جرداء

وتشبيه الذعر بالمنجل الحاصد لطيف ، لأن الذعر يحصد الأمن والسلام والطمأنينة ، بل يحصد الأرواح في كثير من الأحيان ، وقد سبق ابن المعتز

فشبه الهلال بمنجل يحصد من زهر الدجى نرجسا .. ولما جعل الشاعر هنا الذعر منجلا مغيرا فى ربى فلسطين ، جعله يحصد زرع الربى ، حتى لتبدو جرداء من كل شىء ، وهذا جميل وان كان الشطر الثانى ضعيفا بعض الشىء ، وغير مكمل للصورة اللطيفة التى أتى بها فى الشطر الأول من البيت ، فمنجل الذعر يحصد الزرع ، ولكنه يحصد الأرواح أيضا ، وحصد الأرواح هنا أهم من حصد الزرع ، وهذا المنجل لايغير فى الربى وحدها ، بل فى الربى والبطاح كذلك ، وكان على الشاعر أن يقول : ان هذا المنجل يحصد الأمن والنفوس والطمأنينة ، أو يحصد ثمر الحياة وزهورها ، أو ماشابه ذلك .. وكان عليه أيضا أن يقول : منجل الذعر فى حماها ، لا فى رباها ، وما أدق الشاعر لو قال :

منجل الذعر فى فلسطين جان ـــ يحصد الأمن فالحياة شقاء

أو ماشابه ذلك .. ولكن الشاعر محمود على كل حال ، لطيف الصورة رغم التقصير .

وبعد فإن الشعر المعاصر ليهتز فرحا بظهور « ديوان مع الغرباء » ، الذى يسجل أروع الإلهامات الشعرية ، ويجمع أعذب أناشيد الإباء والحرية ، ويحتوى على صور أنيقة مطبوعة من البلاغة والجمال الفنى الأخاذ .

محمد عبد المنعم خفاجى

# مَعَ الغرباء

## قصـــائد الديوان

# مع الغرباء

« معسكر البريج هو اكبر معسكر »
« للاجئين فى قطاع غزة . فإليهم فى »
« البريج ، وإلى جميع لاجئى فلسطين »
« . . . أهدى هذه العبرات . . . . »

أتت ليلى ، لوالدها
وفى أحداقها ألم
وفى أحشائها نار
من الأشواق تضطرم
وقد غامت بعينيها
طيوف هزها السقم
وقد نام
البريج
أسى
فلا صوت ، ولا نغم

أنت

ليلى لوالدها
وقد أهوى به الهرم
وقالت وهي من لهف
بها الآلام تحتدم

• •

لماذا . . ؟
نحن يا أبتي . . ؟
لماذا ، نحن أغراب !؟
أليس لنا، بهذا الكون
أصحاب ، وأحباب
أليس لنا أخلاءُ
أليس لنا أحباء
لماذا . . ؟
نحن يا أبتي . . ؟
لماذا ، نحن أغراب !؟

• •

يمر العام ، إثر العـام
يا أبتي .. ، بلا جدوى
فلا أمل ، ولا بشرى
ولا نجوى ولا سلوى
سوى الآلام والشجن
سوى الأحزان والمحن
سوى صوت من الأقدار
يهتف دائمـا
وطني
لمـاذا . . ؟
نحن يا أبتي . . ؟
لماذا ، نحن أغراب !؟

* *

لمـاذا . . ؟
نحن في سقم
وفي بؤس ، وفي فقر
نظل نتيـه ، جوابين

من قطر ، إلى قطر
أما كانت لنا أرض
بها الآمال تخضرُّ ؟
وفيها ترقص البشرى ؟
ويشدو فوقها الطير ؟
أما كان لها وطن .. ؟
يسبّح باسمه الزمن !
لماذا . . ؟
نحن يا أبتى . . ؟
لماذا نحن ، أغراب !؟

* *

أليست . . ؟
أرضنا الخضرا .
ذات المنهل العذب
وذات الحلم الحلو
الذى ، أشرق ، بالحب
لماذا . ؟ نحن لا نزرع

أحرارا ، بأيدينا
ونأكل ، خير موطننا
ونعطيه ، ويعطينا
لماذا ، نحن لا نسقيه
من جهد ، ويسقينا؟
لماذا . . ؟
نحن يا أبتى . . ؟
لماذا . . نحن أغراب؟

° °

لماذا .. نحن فى الخيمة
فى الحرّ ، وفى البرد؟
ألا نرجع للبيت
وللحقل ، وللمجد؟
لماذا نحن فى الألم؟
وفى الجوع وفى السقم؟
وفى البؤس وفى النقم؟
لماذا . . ؟

نحن يا أبتِ ؟
لماذا ، نحن أغراب ؟

* *

سألتكَ
أمسِ . . عن أمى
التى ذهبت ولم ترجع
سألت . .
وخافقى يشكو
سألت ، ومقلتى تدمعْ
وأنت مغلغل فى الصمت
لا تحكى ، ولا تسمع
ويمعن يا أبى صمتك
ولا ينقذنى صوتك
فأصرخُ : . .
يا أبى قل لى
لماذا نحن أغراب ؟

* *

سألتك ..
منذ أيام
سألتك عن أخى أحمد
وكدت ، تزيح عن عينىّ
ذاك .. الخاطر الأسود
وكدت تقول لى : قد مات
يا ليلى .. قد استشهد
ولكنك لم تفعل !
لماذا أنت لم تفعل ؟
لماذا .. ؟
نحن يا أبتى
لماذا نحن أغراب ؟

٭ ٭

أتذكر يا أبى سلوى
لقد أبصرتها أمس
تلج ، شريدة فى الدرب
فى حزن ، وفى بؤس

لقد بدّلها السقم
مع الأيام .. يا أبي
فهذى غيرها لا شك
هذى غير صاحبتى
عيون فيضها ألم
وجسم كله سقم
لماذا .. ؟
نحن يا أبتى .. ؟
لماذا نحن أغراب ؟

• •

أبى ....
قل لى بحق الله
هل نأتى إلى « يافا » ؟
فإن خيالها المحبوب
فى عينىّ قد طافا
أندخلها أعزاء
برغم الدهر .. أشرافا ؟

أأدخل غرفتى ، قل لى
أأدخلها ، بأحلامى ؟
وألقاها ، وتلقانى !
وتسمعُ وقع أقدامى !
أأدخلها بهذا القلب ؟
هـذا المدنف الظامى

• •

أبى . . . .
لو أن لى كالطير
أجنحة ، لتحملنى
لطرت بلهفة رعناء
من شوق . . إلى وطنى
ولـكننى من الأرض
تظل الأرض تجذبنى

• •

وترعش
دمعةٌ حرّى

وتدفق ، خلفها دمعه
وترعد صرخة ابنته
وتطرق فى الدجى سمعه

° °

فيصرخ سوف نرجعه
سنرجع ذلك الوطنا
فلن نرضى له بدلا
ولن نرضى له ثمنا

° °

ولن يقتلنا جوع
ولن يرهقنا فقر
لنا أمل سيدفعنا
إذا ما لوح الثأر
فصبراً .. يا ابنتى .. صبرا
غداة غد ، لنا النصر

أذيعت من القدس
١٩٥٣

# أين المفر؟

هتف الموت وهو ناب وظفر   لامفر ، من قبضتي ، لا مفر
وعوت تصرخ الرياح وهبت   عاصفات جموحة لاتقر
والرعود الرعناء ملء فم الكو   ن .. دوي على الفضاء وزأر
والسماء اختفت فلم يبق إلا   سحب ترسل الوعيد وتذر
فإذا الرحمة استحالت بلاء   وإذا الكون واجم .. مكفهر
وإذا الماء جامح يغمر الأر   ض ويطغى جموحه المستمر
فهوى « بالبيوت » لم يرحم الزغ   ب ولا رده البكاء المر

• •

رب أم حنت على طفلها البكـ   ـر ، وضمته ، وهي خوف وذعر
ألصقته بصدرها خشية المو   ت ، وهل يدفع المنية صدر ؟!
وعجوز هوى الجدار عليها   فإذا بيتها المهدم قبر ..
ويتيم .. قضى أبوه شهيداً   فهو من بعده دموع وفقر . !
هدمت فوقه العواصف بيتاً   هو في واقع الحقيقة جحر . ؟!
وفتاة مكلومة القلب تبكي   فقد خدر وما حواه الخدر

وصغار مشردين بلا أهل ... تراموا على الطريق ، ومروا
وكثيرين قد أفاقوا حيارى ... ما لهم ملجأ ولا مستقر
هتفوا بالسماء أن تحبس الغيـ ... ـث وهيهات أن يغيّض بحر

• •

ليت شعرى أين الذين رموهم ... فى جحيم من العذاب وفروا ؟!
أين من سوروا بيوتا من الطيـ ... ـن وقالوا : هنا يطيب المقر !؟
هم مقيمون فى الديار نشاوى ... وندامامُ حسان وخمر
ومئات من الجنيهات قالوا ... هى أجر لما أتوه وشكر
وهم المجرمون قد جلبوا الشر ... وقالوا : بأنّ ذلك خير
نسل « جونبول » هؤلاء ، فنهم ... غمر الظلم شرقنا والنكر
إنهم يضربون فى ظلمة الليـل ... وقد مزق الدياجير فجر
فالشعوب استفاقت اليوم يهدى ... خطوها للعلى وللحق ثأر
فلهيب فى أرض إيران يشوى ... كل مستعمر عليها يمر
وزئير فى أرض مصر ينادى ... إنها مصر ، درة الشرق مصر
سوف تلقى بالظالمين إلى البحر ... ويسمو بها إلى المجد نصر

• •

أيها المؤمنون قد جمح الباغى ... ففى سمعه عن الحق وقر
أنقذوا ، أنقذوا البقية منا ... فهنا الموت جاثم مستقر .

# سأزرع أحلاميه

« مهداة إلى زعيم رهط جوالة الرابطة »

من الكهف والخيمة البالية سأجمع للثأر أشلائيه
سأجمع أهلى وأصحابيه وأصرخ من عمق أعماقيه
وأرسلها صيحة داوية وأدعو إلى الجولة الثانية

• •

فلسطين مهبط آماليه ومنزل شعرى وإلهاميه
ومثوى جدودى وآبائيه هناك سأزرع أحلاميه
وأحصدها غضة نامية وأجنى ثمارى وأزهاريه
هناك أحقق أهدافيه هنالك بالجولة الثانية

• •

أخى يا ابن بؤسى وآلاميه حذار من الهمم الخاوية
حذار من الأنفس الهاوية ورددْ معى صرخة عالية
تجلجل راعدة ماضية وتدعو إلى الجولة الثانية

• •

بلادى حاضرة نائية اليها تاهف أشواقيه
وخفق فؤادى ووجدانيه يكاد يمزق أحشائيه
وأسمعها ملء أجوائيه تنادى مزمجرة باكية
إلىّ . . . . إلى الجولة الثانية بلادى : سآتيك ياغالية
وأسعى اليك بأعلاميه وأمشى وصحبى وإخوانيه
لنضرب ضربتنا القاضية هنالك بالجولة الثانية

١٩٥٢

# مهاجرون

ومهاجرين ، . . معربن ، . . على دروب التيه هاموا
يمشون والأقدار كابية . . فما فيها ابتسام
أقواتهم ماذا . ؟ ؟ ! وكيف . ؟ ؟ ! فليس عندهمُ طعام

. .

هم هؤلاء . . بقية الشعب الذى عرف الأنامُ
ذاك الذى . . بالأمس أشعلها فشبَّ لها ضِرام
شعواء . . داوية . . ؛ يردد رجعها الجيش اللهام
صمت بها أذن الدخيل . . وروّعت منه العظام
قال : السلام . . وكيف يبلغنا على يده السلام ؟ ؟ !
والذئب يفتك بالقطيع إذا تولاه الظلام

. .

هذى الخيام . . ألا ترى . . ؟ !! ضاقت بمن فيها الخيامُ
لا . . لا يروعك السقام فلن يحطمها السقام
كلا ولا هذا الشقاء إذا تفشى والحمام

لا لن يضير عقيدة من أجلها صلوا وصاموا
بشرى فلسطين الحبيبة يوم ينتفض الحطام
سنثيرها شعواء تلتهم اليهود وما أقاموا

١٩٥٠

# أحزان لاجئة

رباه . .

ضقت بعالم . . نتن !

بالناس بالآلام بالفتن

يحديثهم ، عنى ، وعن وطنى . .

أنى اتجهت . . تتتبعنى . .

تلك العيون تظل ترمقنى . .

والهمس والتقريع ،

فى أذنى . . !

دوماً يحدثنى . . !

عن الثمن . . !

وغد يراوغنى . .

نذل . . يتابعنى

عيناه ترهبنى . .

نشوى تحدجنى . .

ويظل . . يتبعنى
بحـــديثه العفن
عن ليلة حمراء . . يسألنى
عن رقصة . .
عن مخدع نتن
فى الدرب يوقفنى . .
وضميرى المذعور يوقظنى
والنار . . فى بدنى !
النار تأكلنى . .
سر ياغبى كفاك تؤلمنى
وكفاك توسعنى .شتما وتلعننى
لو كنت تعرفنى ! !
لقضيت من ذعر ومن وهن
فأبى الشهيد . . !
مضى وأورثنى
قلبا قويا غير ممتهن .
بالأمس لقنني
كل الدروس هناك ، علمنى !

ومضى وخلفنى ،
كالجبهة الشماء خلفنى
وتظل تخدعنى .
بحديثك المشحون بالمنن
سر ياغبى
فلست تعرفنى .
قد كان لى وطنى
قد كان لى .. ومضى مع الزمن
وغدا يعود ، ..
يعود .. لى وطنى

أذيعت فى القدس
١٩٥٤

# هناك بلادى

« مهداة إلى « مها » الصغيرة »
« ذات القلب الكبـــير »

هناك .. هناك .. وراء الحدود
هناك .. بلادى تراث الجدود
تئن .. من العار .. عار اليهود
وتصرخ ، أقداسها بالوجود

• •

هناك .. هناك .. أغانى صباى
ونجوى شبابى .. وذكرى هواى
وحقلى : . وما زرعته يداى
وعوداً .. تركت ، حزيناً .. وناى

• •

هناك .. تنادى على التلال
تقول : حبيبى .. حبيبى .. تعال

وألف حنين ، وألف سؤال
يشق إلى ، عنان الخيال

• •

و «يافا» تئن وتشكو الهوان
وقد آلمتهـا سهام الزمان
ومات على شفتيها الأذان
وناقوسها .. ذاهل .. مستهان

• •

و «حيفا» تنـوح مع الكرمل
وتبكي على شعبها الأعزل
بقيه مع الألم الموغل
طريدا يسـير بلا منزل

• •

وخلف الحدود تلوح قرانا
تـكاد على بعدها أن ترانا
تـكاد تشـق إلينـا الزمانا
فما عرفت للمعالي سوانا

• •

أبي . . وأخي . . وصحابي . . هناك
تركتهمو . . في جحيم العراك
وقد حلقوا فوق هام السماك
يقولون للمجد : « إنا فداك »

• •

ويرحل . . عام . . ويشرق عام
ونحن كما نحن . . تحت الخيام
نقاسي صنوف الأذى والسقام
ونمشي مع البؤس أنى أقام

• •

بلادي وإن آلمتنا الجراح
وإن فرقتنا سياط الرياح
فنحن على العهد . . عهد الكفاح
سنبقى إلى أن يطل الصباح

١٩٥٤

# صخرة الانتظار

« إلى جوار أحد معسكرات اللاجئين »
« صخرة كبيرة تسمع كل يوم قصة هذه »
« التي فقدت زوجها في ميدان الشرف »

ياصخــــرة الانتظار أخشى عليك انتحاري !
أخشى تضيع حياتي في زحمة ... ، الأعمار
ودّعت زوجي لما سرى مع الأحرار
ودعته بحنـان وقوة واصطبـار
فقال : « صونى وفاقى غداً ، وصونى صغارى
كونى لهم إن دعانى مقدّر الأعمار . .
وكرّ والهف نفسى وضاع ، خلف الغبار
شيئاً ، فشيئاً ، تلاشى وغاب عن أنظارى
فعدت أحمل نفساً مكدودة ، للدار
ومر عام . . وعام ونحن فى الأكدار
نسير من غير قصد نسعى لغير قرار

أطفاله كل ليل وساعة ، ونهـار
يسائلون بصوت مقطـع الأوتار :
« بابا ، أيأتى قريباً من جولة الأمصار ؟ !
ويصمتون ، وأبقى من صمتهم فى أوار
صماء ! أى جواب يجول فى أفكارى !! ؟
وكل شىء تلاشى حتى بقايا اقتدارى !
حتى بقايا حنـان وهبته لصغارى !

• •

ياصخرة نحتتها معاول الأقدار !
قولى : سيرجع زوجى مـكللا بالغـار
أبثه بدموعى ألفـه بإزارى
قولى : سيأتى ، سيأتى يا صخرة الإنتظار

١٩٥٣

# النسر الجريح

« ... فى زحمة الأقدار ... وفى غضبة
« الإعصار ... تهاوى من ذراه ...
« جريحا .. ضعيفا .. إلى السفوح .. »

قم انشر جناحيك . . . أطلقهما      وهاك الوجود ، وعرض السما
إلام تظل مهيض الجناح      تخبط فى اليأس ، مستسلما ؟
ويعروك .. فى كل حين ذهول      ويقضى عليك الأسى والظما
تحامل وطر فى سماء الخلود      وجاوز إلى حتفك الأنجما
أليست عشاشك ، مهد الطموح      ألست لها العاشق المغرما ؟
ألم تك بالأمس .. أمس القريب      لديها المعزز والمكرما ؟
فماذا جرى كيف شاء الزمان      بأن تستباح وأن تحرما ؟
وماذا على الأرض غير النفاق      وغير الكذاب وغير العمى ؟
خداع يراوغ فى ذلة      وزيف تأصل واستحكما
تحامل وطر فى الفضاء الرحيب      فإن من العار أن تحجما
إذا لم تطر أنت .. منذا يطير ؟      ومنذا يحلق فوق الحمى ؟

أما فيك من نخوة للوثوب تهز بها النوم والنوّما؟
أليس من العار أن تستذل وأن تسترق وأن تهزما؟
أليس من العار موت النسور على الأرض لا فى عنان السما؟
تحامل، وغلغل، وراء الخطوب وأطلق جناحيك .. أطلقهما

١٩٥١

## موعدٌ للثأر

«ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال»
«الذى أقيم بمناسبة وضع الحجر»
«الأساسى لمستشفى الرحمـــة بمدينة»
«خانيوس . . . عام ١٩٥٤ . . .»

صوت .. من يصرخ تحت الظلم؟ ومن . . الشاكى الذى لم ينم؟
إنها أم حنت من وجدها فوق طفل شاحب مضطرم
قطعة من نفسها يؤلمها أن تراها فى نيوب السقم
طفلها . . كل أمانيها التى بقيت من أمسها المنصرم
كلما عاثت به الحمى بكت واشتكت من شجوها والألم
رب من ينقذ طفلى إنه سائر يسرع نحو العدم
رب هل من رحمة تبعثها ودواء مسعف أو بلسم

• •

فإذا الرحمة مستشفى هنا لفقير بائس أو معدم
لليتامى . . والحيارى . . والألى شردوا عبر الفضاء الأسحم

هو للبائس أسمى منية  وهو لليائس أغلى مغنم
هو للأم وللطفل لمن  جرحه ينزف لم يلتئم
رحمة مدت يد البرء لهم  ومضت تمسح دمع اليتم

• •

إنها مصر .. أجل مصر التى  فخرت بالمجد بين الأمم
إنها مصر التى قد صعدت  فوق هام الفخر منذ القدم
فهى قلب نبعه من رحمة  ويد فياضة بالنعم
أينما سرت لها مفخرة  حدثت عن فضلها والكرم
تنشر العلم سلاحا ماضيا  للغد الآتى وللملتحم
كم يد بيضاء قد مدت لنا  ولكم قد وصلت من رحم
ها هى اليوم تداوى جرحنا  بالوفاء المستحب العرم
بيد الآسى الذى ترقبه  بنجيب الصارم المنتقم
قائد لا ينثنى عن عزمه  طامح يرفع صرح الشمم
كل صعب هين فى دربه  يتلقى روعه بالبسم
أينما سار اندفاع مؤمن  لم ينم عن حقه ، لم يسأم
صهوة المجد له قد أسرجت  ومضت تقحم عرش الأنجم

• •

فاهنئى يا أمتى رغم الاسى  واصعدى نحو العلا وابتسمى

ذللي الصعب وسيري حرة | وتعالى وانهضي واقتحمي
إن راعيك نجيب ساهر | يبذل الجهد لعود مكرم
لفلسطين التي قد مزقت | بسلاح الأجنبي المجرم
فلنا فوق ذراها موعد | قد ضربناه بيوم مؤلم
موعد للثأر ما نام ولا | رقدت أجفانه عن محرم
كل شبر في فلسطين لنا | تحته صوت شهيد مسلم
سوف نأتيه وفي أكبادنا | ثورة مشبوبة بالنقم
ونجيب راكز رايتنا | في روابي القدس فوق الحرم
والسرايا حول «حطين» مضت | تغسل العار بدفاق الدم
سوف نأتيها وإن طال المدى | بجنود النصر تحت العلم
فاعملي يا أمتي صابرة | ولغير السيف لا تحتكمي

١٩٥٣

# العيد يوم الثأر

« إلى إخواني الفلسطينيين في كل قطر »

يا عيد .. كيف على الديار تعود والبؤس ملء يديك والتنكيد
أتعود .. والأحرار أبناء الحمى ضلت بهم في النائبات نجود
تاهوا .. فلا وطن يلم شتاتهم حتى ولا كهف ولا أخدود
يتطلعون إلى الديار قريبة منهم .. ودون بلوغها التبديد
يتلهفون وفي الربوع معاقل الحق في جنباتها مفقود
تبكي ذراها الشامخات تحسرا وتنوح من فرط العناء حدود
وتعود أنت على الخيام كئيبة تطوي نفوساً هدها التشريد
فيها بقايا أمة عربية يسمو بها التكريم والتمجيد

• •

يا عيد لا وطن لنا متهلل يلقاك فيه البشر والتغريد
كلا .. ولا أهل يهز لقاؤهم قلبي فيحلو في الشفاه نشيد
العيد يوم نرى البلاد عزيزة العيد يوم يعمم التجنيد

العيد إن دوى النفير مبشراً فتواثبت نحو الحدود جنود
يوم النداء وشعبنا فى لهفة للقائه .. وجهاده مشهود
العيد يوم الثأر .. يوم وقيعة من هولها يتمزق الجلمود

• •

وطنى .. وبى شوق إليك يهزنى وطنى وعيدى أنت يوم تعود
لا بد أن نلقاك يا وطن العلا وعلى رباك .. عدالة .. وسعود

١٩٥٠

# أعيد الفطر

« إلى إخواني اللاجئين . . . الذين »
« يطالعون العيد بحسرة ولوعة ، إليهم »
« هذه الأنات . . . . »

أعيد الفطر ، هل للاجىء المحروم من فطر ؟
وقد أسلمه العاتون . . للأسقام والفقر . .
يلوذ بخيمة سوداء ، فى إظلامة القبر
فلا تحميه من برد ، ولا تحميه من حر
ويصمت صادق الإيمان . . . يستسلم للصبر
لعل لليله المحلولك المربد من فجر

• •

أعيد الفطر هل تدرى ترى أم أنت لا تدرى ؟
أتدرى أن خير الناس قد ضلوا على القفر ؟
وهام الأخوة الأحرار ، من قطر إلى قطر
وليس لهم سوى التأنيب والتقريع والزجر

• •

أعيد الفطر لاجئت ، إذا لم تأت بالنصر
إذا لم تأت والأوطان فى بحبوحة الخير
إذا لم تأت والأحرار ملء الموطن الحر
إذا لم تأت والنزاح قد عادوا إلى الوكر
إذا لم تأت والأعداء قد ماتوا من الذعر
وقد فرت شراذمهم مولولة إلى البحر
إذا لم تأت بالتحرير والإنقاذ والفخر
فلن نلقاك .. لن نلقاك بالتهليل والبشر !!

١٩٥١

من مآسي الاستعمار
البريطاني في فلسطين

# قصة

« مهداة إلى الصديق الكريم القصصي »
« المعروف محمد عبد الحليم عبد الله »

قصة قد حدثت .. بالأمس من عشرين عام
حدثت في عهد الاستعمار ، في عهد الظلام
حدثت في قريتي الخضراء في أرض السلام
كلما أذكرتها .. اهتزت من الرعب العظام

• •

ذات يوم .. والربيع الطلق فواح الأريج
ضاحكا .. في قرية الأحرار .. للحسن البهيج
قيل .. فيما قيل : ان الخيل ضلت في المروج
وهوى من فوقها للموت « جاريش » العلوج

• •

كانت الشمس توارى .. في ذهول وشحوب

وبدت في حلة صفراء .. في ثوب كئيب
يمـلأ النفس التياعا ، وحنيناً للمغيب
فيم ..؟! لا أدري لماذا : عدت في خوف رهيب ؟

• •

ولدى الباب لقد أبصرت أمي في انتظاري
جذبتني داخل البيت ، بخوف وانبهار
ثم سدت بمدى الباب . وظلت في جواري
وبعينيها . أحاديث وآلام عن البؤس المثار

• •

فتكومت إلى بعض حصير . . . أتململ
والدجى ، يمعن في السير حثيثا يتغلغـل
وأتت أمي بخبز وقليل من « مخلل »
وأكلنا .. بعض شيء .. ليت شعري ، ليس يؤكل

• •

لا تقل : نمنا .. فلم نعرف إلى النوم سبيلا
كلما داعبنا النوم ، قليلا .. قليلا
أيقظتنا نسمة ، حركت الغصن النحيلا
فحسبناها نفيراً ، وجنوداً ، وخيولا

• •

وإذا مااصطدمت ، رجلى .. بصندوق الثياب
قفزت أمى من النوم .. وهبت فى ارتياب
من بدق الباب ؟! قدصاحت ، ولم تسمع جواب
وهرت قربى فى حزن وبؤس واضطراب

• •

ومع الفجر أفقنا ، وعلى صوت الجياد
وثبت أمى إلى الباب بخوف وارتعاد
وإذا العمدة .. والأجناد ، فى شبه احتشاد
وعيون الجند ترمينا بحقد وانتقاد

• •

وقفت أمى وقالت : «ما الذى تبغون منى
ارحموا فقرى ، وآلامى ، وأحزانى ، وسنى
فأجاب العمدة المكلوم فى عطف وحزن :
« لاتخافى ، لاتراعى .. (أم محمود) : اطمئنى »

• •

أين ياأم ترى زوجك أمسى .. أين سارا ؟!
أترى تدرين ، فى أى مكان قد توارى ؟!
إننا نبحث عنه .. دائما ليلا ، نهارا !!
إنها الدولة تبغى ، منه أحقادا وثأرا !!

ابتسمت أمى وما كنت أراها تبسم
وأنا أرقب مايجرى ، وقلبى يضرم
ثم قالت فى ذهول ، : إننى لا أعلم
لست أدرى : أين قد سار؟ ولا مايجزم

* *

وإذا بالضابط الجلاد قد أعطى إشارة
وإذا حارسه الملعون . . قد أطلق ناره
فهوت أمى إلى الأرض . إلى أرض الطهاره
قبلتها فى حنين ، واشتياق . وحراره

* *

ومشى الجند . . مشوا من فوق أمى
وأنا أصرخ ، من رعب ، ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل أن تدفن فوق الدرب جسمى
غير أن العمدة المسكين يحمينى ، ويهتز ليتمى

* *

قال لى : يا ابنى تمهل ، فلنا رب مجير
ومشى بى . . نتخطى الدرب ، فى حزن نسير
وإذا ، أمر من القائد محموم خطير
أحرقوا القرية فالجرم عظيم وكبير !

عم . . ياعمدة . . ماذا كان - عمى - ذنبنا ؟
ولماذا قرروا أن يحرقوا أبياتنا ؟
أترى تعرف ياعم ، أتدرى جرمنا ؟
أم ترى تجهل ما بيته الظلم لنا ؟ !

• •

واجتمعنا خارج القرية فى سفح الجبل
وبدت قدامنا قريتنا نبع الأمل
تأكل النار نواحيها ، وتجتاح القلل
ورأينا بيتنا المحبوب فى النار اشتعل

• •

من هنا قد بدأت مأساة عمرى
بدأت قصة آلامى وأحقادى وثأرى
من هنا قد شبت النيران فى أعماق صدرى
وتعلمت لماذا . . حفر الجلاد قبرى

• •

قيل لى : إن أبى قد كان فخر الثائرين
حطم المستعمر الجبار ، هد الغاصبين
ومضى للجنة الفيحاء ، وضاء الجبين
تاركا ذكراه ، كالطيب على ثغر السنين

وتعلمت . . تعلمت الذى لا أعلم
فاذا بى شعلة مشبوبة لاتسأم
وإذا صدرى ، براكين ونار تضرم
وإذا بى نقمة جبارة لاترحم

* *

فالجنود الشقر أعدائى ، وأعداء أبى
وطئوا الظالم فى دارى ، الخسيس الأجنبي
وطئوه رغم أنفى بالسلاح المرعب
ورمونى خارج الدار جريح المنكب

* *

لن ينام الثأر فى صدرى وإن طال مداه
لا . . ولن يهدأ فى روحى ، وفى قلبي لظاه
صوت أمى لم يزل فى مسمع الدنيا صداه
وأبي . . مازال فى سمعى وفى روحى نداه

* *

أن تقدم . . ثابت الخطو إلى الحق ، تقدم
وتقحم . . حالك الأهوال للثأر تقحم
سوف تطويك الليالى السود . . إن لم تتعلم
كيف تطفى غلة الثأر بنيران. ودم

١٩٥٠

# معلمة لاجئة

« إهداء ... إلى الشموع التي تحترق لتضيء »

مع الفجر ، والفجرُ لا يشعر ، مع الفجر ، راقبتها تعبر
على وجنتيها احمرار يذرب ، وفي مقلتيها ، رؤى تَنْحر
إلى أين ؟ قبل انبلاج الصباح .. إلى أين هذا السرى المبكر ؟
إلى أين .. مرت كرجع الصدى يردده جبل .. مشجر .. ؟
تخطى الطريقَ . . . ومن لوعة تكاد ، دموع الأسى تطفر

• •

فقيل : لها في شقوق الخيام تلاميذ ، من أجلها بكروا
تعذب في البرد أجسامهم .. وأقدامهم من دم تقطر
تلاميذ ... كان لهم موطن عزيز . . . بآبائهم . . يفخر ...
أفاقوا على صرخة النائبات يرجعها القدر المنذر
أفاقوا ... إلى حيث لا يعرفون ، يضمهم السبسب المقفر
لقد شاء هذا الزمان المشت بأن يستثاروا ، وأن يقهروا

تلاميذ .. فى عصفة الـكارثات على هجر أوطانهم أجبروا
إلى أن تلاقوا . . هنا . . فى الخيام ، يضمهم الهدف الأكبر
فقد علموا ، من دروس الفتاة ، بأن لا يذلوا .. وأن يصبروا
تقول لهم ، وهى تلقى الدروس ، وأعينهم نحوها تنظر
أحبَّاءَ روحى ... لا تيأسوا ، ولو شمل العالم المنكر
وكونوا كفجر الحياة الوضىء . . . يداعبه الأمل النير
صغارى : غد لـكم ، فاعملوا على خير أوطانـكم تنصروا
أحباء روحى . . أنا شـمعة تضىء . . ولـكنها تصهر
تقول .. وأطفالها ينصتون ، وإن كررت قولهـا كرروا

• •

ومرت شهور . . ولم ألتق بهـا . . خلف نافذتى تعبر
نخاطبتُ روحى . . وساءلتها ، ولا من جواب لهـا يخبر
وساءلت عنها خيوط الضياء ، ومن تحت لمح السرى بكروا
وساءلت من روحوا فى المساء يهزهم .. الشفق .. الأحمر
وطوفت فى أكهف اللاجئين .. عسى .. ولعل .. بها أعثر
وساءلت .. لم أستمع واحدا يقول : أجل .. إننى أذكر
إذاً . . ذهبت مثل ومض الضياء ، لأن الفضيلة لا تعمر
تلاشت كقطرة ماء . هناك حوتها على رغمها الأنهر

وغابت وراء ظلام القبور كما يغرب الأمل المقمر

• •

فعدت وليس سوى خيبة ترامى حوالى .. أو تنشر
ومرت ليال طوال .. هناك ومرت على موتها أشهر
وغابت معلمة الناشئين وراء الظلال التى تقبر
ولكنها بقيت قصة .. على ثغر أطفالها تذكر
أولئك مَن مِن قيود النفاق على الرغم من عصرهم حُرروا

١٩٥٠

# جنباً إلى جنب

« إلى المثقفات من بنات الجيل »

ليلاى .. يا أغرودة الأمل الحبيب الأرفع
يا وحى إلهام سرى خفقانه فى أضلعى
لفتى أضاميم الهوى .. المتأنق المتلوع
وتعلى حب الذرى .. وإلى النجوم تطلعى
خوضى ميادين الحياة ، برقم أو مبضع
وامضى وقلبك جذوة تهفو ليوم المطلع
وامشى على شوك القتاد .. حذار أن تتوجعى
فهناك .. فى قمم الشموخ .. هناك عند المنبع
زهر يروّيه الندى بدم الشباب المبدع
بالغر من نسل الكفاح المستميت الأروع

● ●

ليلاى .. نادت أمنا ، دوى نداها فاسمعى

وأبوك .. صوت أبيك ياليلاى يوم المصرع
وزئيره ليث جريح متعب فى بلقع !
وصراخ إخوتك الصغار لصوتك المتفزع
ويد الأثيم تمزق الأكمام دون تورع !

• •

ليلاى لا يجدى بهذا العصر صوت الأدمع
والحق .. إن الحق لا يأتى بغير المدفع
فتحصنى ما اسطعت بالأمل الحبيب وأبدعى
وإلى فلسطين بكل قواك سيرى وادفعى
فبغيرها لن تسعدى ، ولغيرها لن ترجعى
إن الذئاب تنوش كل مشرد ومضيع
والليث لا يسمو بغير عرينه المترفع
فامضى نذوب مع الحياة على طريق المرجع
هيا اعملى يا منيتى جنبا إلى جنب معى

# لاجئ في العيد

بماذا ترى أستقبل العيد يا ربي ؟ وليل الأسى والحزن يمعن بالركب
أرى العيد حولي غير ماقد عهدته وغير الذي قد كان من أمل رحب
أراه كسيفا .. باهتا حالك الرؤى يجر خطاه في ذهول وفي رعب
أألقاه بالآمال تبكي حزينة
أألقاه بالتشريد والجوع والكرب ؟
أألقاه بالكهف المروع جاثماً ؟
يقص على الأقدار أقصوصة الذنب ؟
يقص على التاريخ قصة أمة
تهاوت من العلياء مكسورة القلب
أراه فتنداح الدموع حزينة لذكرى أماني العذاب وللحب
أألقاه والأحباب عني تفرقوا
وغابوا حيارى في حنين إلى الدرب ؟
فأين ليالينا التي تغمر الدنى بفيض من الآمال والمنهل العذب ؟

وأين أغانينا العذاب ترقرقت
يرددها حولى الأخلاء من صحبي
تلفتُّ والكهف المروّع شاخص يعذبنى رباه من غير ما ذنب
وحولى صغار يُتنم كلما مشوا بأسمالهم هزوا بآلامهم قلبي
أألقاه وابنى ها هنالك وابنتى يضجان بالثأر المؤجج فى الترب
وزوجى التى أودعتها كل رحمتى تكاد تطل اليوم من عالم الغيب
تنادى إلى الثأر المجلجل للعلا إليها، إلى التحرير، للمجد، للوثب
إلى جولة أخرى تدوّى عنيدة
وتصرخ بالأحرار والخيل والقضب
أألقاه والأحرار فى كل بلدة
حيارى من التشريد والكيد والسلب ؟
همو أشعلوا الدنيا ضراماً وعزة
وثاروا على الجلاد والقيد والصلب
وكانت لهم فى ذروة المجد صولة وكان لهم عرش كريم على الشهب
فيا حسرتا ما غيّر اليوم حالهم ؟
فصاروا أحاديث المجانة والكذب
بماذا ترى ألقاه يارب .. نبّئنى
فإنى من الأحداث فى مأزق صعب

١٩٥٠

# كيف تعود؟

أحقا ربيع الحياة الجميل		تعود على ريفنا ، تطلع ؟
تعود وكيف تعود لنا		وفوق ربانا جرت أدمع ؟
تعود على بقعة أجدبت		ذراها ، وجف بها المنبع
وأنت تعود ، وكيف تعود؟		وخير الأحبة قد ودعوا
مضوا نازحين وراء المعاش		وفى حمأة الظلم قد أقلعوا
أنا منهم ، رمق متعب		وروح إلى أصلها تفزع
إلى من بنوا ، فى طريق الحياة		قصورا بها كنت أستمتع
إلى من شدوا ؛ فى صراع الخطوب
نشيدا حبيبا ، ومن وقعوا
إلى الطامحين وراء الخلود		يهزهم الأمل الأرفع
إلى المشعلين ضياء الحقوق		ومن حولهم تعصف الزعزع
إلى الذائقين صنوف العذاب		بصبر الأباة ولم يجزعوا
وكانت كؤوس طغاة الزمان		عصارة أكبادهم تترع

وكانت يد الغاصب المستبد إذا انتفضوا ، دائماً تصفع
وفيها الشقاء ، وفيها العذاب وفيها المشانق والمدفع

• •

مضوا . لهف نفسي واحسرتا ومرت سنون .. ولم يرجعوا
سنون طوال .. كأني بها هي القدر ، الفاتك المفجع
أنا ها هنا زفرة منهم تكاد على صبرها تصرع !
أنا ، والحنين ، وهذا الظلام وهذا التحرق ، لا نهجع
متى يا ترى ، يرجع النازحون؟ متى بهم تزهر الأربع ؟
متى يا زمان ، أجب يا زمان كأني بأذنك لا تسمع .. !

١٩٥٢

## دموعٌ ـ ودماء

يا نبي السلام : هذي فلسطين : دموع . . وحرقة . . ودماء
لفها البغي فهي برق من الثأر . . ورعد : ضرامه الأحشاء
منجل الذعر في رباها . . مغير ، يحصد الزرع . . فالربى جرداء
والرياض الخضراء باكرها القصف . . وغالت زهورها الأنواء
وذراها . . منابت العز . . والمجد . . أباحت أفوافها الهوجاء
وشطوط الإلهام من ثورة الوجد . . سعير . . وقودها البؤساء
والميامين . . من شباب فلسطين . . جياع مشردون . . ظماء
والعذارى المحصّنات أكف راعشات . . وأنفس خرساء
ووميض الحياة في فجرها البكر غيوم ـ تحوطه ـ دكناء
وبيوت الصلاة غام بها الصمت ، ولفت أجواءها الظلماء
لا ، بلال ، بصوته العذب يدعو لفلاح يضيء فيه الوفاء
لا المصلون في الرحاب سجود ، لا ولا في المنابر الخطباء
والخيام المهلهلات نواح وقلوب . . يحز فيها الشقاء

يا نبي السلام لم يبق إلا جمرات رمادها الضعفاء
كل شيء .. حتى الكرامة والأقداس ضاعت .. وداسها الأعداء
فادع لله - فى السماء - فإنا .. جف فى ثغرنا ، ومات ، الدعاء

١٩٥٠

# يا بلادي

هو في الليل قطعة من سهاد ... من حنان ، ورأفة ، ووداد
عالق الطرف بالسماء يناجي ... كل نجم مغلغل في السواد
الحنين الحنين يضرم فيه ... لهبا سعرته نار البعاد
فيمر النداء كالصرخة الثكلى ... حزيناً ، يقول : أين بلادي
كيف أشدو لها؟ وقد ضاع مني ... كل ما قد خلقت من إنشاد
كيف أشدو وموطني في شقاء ... مستمر ، وأمتي في حداد ؟
أين تلك الذرى؟ أما زال فيها ... مهبط للنسور والآساد؟
كيف «حيفا»، هل خيم الصمت فيها ... وتناست ليالي الأعياد ؟
كيف «يافا» مدينة العلم والنور ... ومهد الآمال والإرشاد؟
كيف «عكا»، جبهة الفخر والمجد ... أذلت لحكم الاستبداد؟
كيف هل مرغت حجارتها الشم ... وهل أركنت إلى الإفساد؟
أتناست سجونها ؟ كم سجين ... مشمخر الإباء كالأطواد؟
جرحوا كبرياءه ، علقوه ... ليلاقي الردى على الأعواد
يا بلادي وتلك قصة شعب ... شتتته مظالم الأضداد

انظرى فالخيام ملأى حواليك شباباً يتوق للأمجاد

يوم تدعين : ألف لبيك منا سوف تمشى الخيام بالأوتاد

سنلاقيك فاصبرى إن فينا لم تزل نخوة من الأجداد

بسلاح نأتى وغير سلاح لانبالى بقوة وعتاد

سوف نأتيك طامحين إلى الثأر .. تلظى النيران فى الأكباد

فالنسور الشماء لاتقبل الذل ولا ترتضى بعيش الوهاد

١٩٥٠

# الإهداء

إليهم ... قصيدى وما أنظم وشعرى وما فى دمى يضرم
إليهم ... إلى إخوتى اللاجئين إلى إخوتى يوم يدعو الدم
إليهم وإن سكنوا فى الكهوف وفوق روابى الأسى خيموا
وإن أمعنوا فى العذاب الملح وناموا مع البؤس واستسلموا
وإن مزق الصخر أقدامهم وفى عاصف الريح إن هوموا
وإن ضربوا فى قفار الحياة وضللهم ظالم مجرم
وإن عذبوا تحت أسر الحنين وكبلهم ليله المعتم
إليهم سأشدو بشعر الحياة ومنهم بروحى سأستلهم

• •

أليسوا أشقاء روحى الكبار ؟ عرفتهمو يوم أن أقسموا
عرفتهمو يوم: أن أعلنوا طريق الكفاح، وأن أقدموا
عرفتهمو يوم أن عذبوا عرفتهمو يوم أن أعدموا
عرفتهمو وسياط القوى تجور وتقسو ولا ترحم

• •

لقد أبدعوا فى صراع الخطوب    وشدوا إليها وما أحجموا
عرفتهمو فعرفت الوفاء    وما يخلق الشاعر الملهم
لقد رفعوا المجد من أسه    بما أبدعوا وبما أحكموا
بما بذلوا من دماء الشباب    وما فى سبيل العلا قدموا
فكيف من العدل أن يهزموا؟    وكيف من الحق أن يحكموا ؟
وكيف يبيتون ليل الطوى    وقاتلهم منهم يطعم
يجوعون والغاصب المستبد    بأرضهم هانىء ينعم
يموتون فى عاصفات الرياح    وقاتلهم سادر يحلم
وبيتهمو لضعاف الطيور    تعشش فيه وتستحكم
وتنعم فيه صغار الذئاب    ومنه ومن خيره تتخم
ويدعو إلى الحق من أحكموا    عليه الخناق ، ومن أجرموا

• •

إليهم ، وإن حطمتنا الخطوب ،    وأرهقنا الحادث المؤلم
وجار علينا الزمان العتى    وأنهكنا الناب والميسم
إليهم سأشدو بشعر الحياة    سأشدو ، وأشدو ، وأستلهم
فيصحو على شعرى السادرون    ويستيقظ النفر النوم

أذيعت من القدس

١٩٥٤

## سنعود

سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاء .. وقسوة الزمن
رغم الليالى العابثات بنا والجوع والتشريد والمحن
سنشق أستار الظلام غدا سنشقها ... ونعود للمدن
سنسير بالفجر الجميل قوى جبارة تقضى على الوهن

• •

سنعود يا ليلاى فانتظرى فى الخيمة السوداء .. فى الحفر
حتى يلوح النور منبثقا وأنا وأنت نسير للظفر
وجنودنا ملء الحدود مشوا يتقحمون مسالك الخطر

• •

لا تحزنى ليلاى وابتسمى وتجلدى للهول والألم
وإذا مشت فى الليل عاصفة وطغت على الأكواخ والخيم
ورأيت أشلاء ممزقة رعاشة مخضوبة بدم

فاصبرى وتحملى فغدا لا بد من ثأر لمنتقم

• •

إن السهول الخضر تنتظر وكرومنا .. والشط .. والشجر
والذكريات الهانيات بها والحب ... والآصال والبكر
وملاعب الأحلام تائقة تهفو لنا ... والناى والوتر

• •

سنعود يا ليلى مع الفجر والزهر والحسون والقمرى
سنعود بالآمال باسمة فى موكب التحرير والنصر
سنعود أكباداً مؤججة تواقة للوطن الحر
وهناك نرفع راية طويت ونعيدها تزهو على الدهر

• •

سنعود فى ركب الصحاب مع الأغاريد العذاب
والناى يعزف والرباب وزورق فوق العباب
أرسى على «شط الشباب» وعمالق سمر غضاب
سجدوا على ذاك التراب صلاتهم لحن الإياب

• •

سنعود نقذف بالعتا ة، ونعتلى هام الطغاه
سنعود فى ركب الحياه ونعود أحرارا أباه

وغدا ستلتئم الجباه والنصر يسلمنا لواه
والموطن انتعشت ذراه نشوى يضمخها شذاه
و «الله أكبر» فى سماه تعلو، و «حى على الصلاه»

أذيعت من القدس
١٩٥٣

## الى النازحين

أخي في الكويت ، أخي في اليمن .. أخي في الحجاز ، أخي في عدن
أخي رغم ليل الأسى والدموع ، وليل الشقاء ، وليل المحن
سألقاك يوماً قوى الجناح ، عزيزاً ، هنا في رحاب الوطن

• •

رحلت . . . وفي مقلتيك الدموع ، تعبر عن سخطك العارم
ويرقص في محجريك الحنين إلى أمسك الذاهل الحالم
ووالدك الشهم فوق الرصيف يحدق في وجهك الواجم
وفي قلبه ثورة الساخطين على شرعة الظلم والظالم

• •

وأنت تطل على الواقفين بعينين لا تعرفان الكسل
تحدق والذكريات العذاب تمر شريطا قصير الأجل
فتذكر إذ كنت طفلا صغيرا ، تسير على عدوات الجبل
وحولك إخوانك المخلصون : كبار النفوس ، كبار الأمل

• •

وتذكر كرما سخى القطوف ، عطوفا ، حبيبا ، كثير الثمر
تباكره قبل لمح الضياء ، وقبل الشروق ، وقبل السحر
وتستقبل الشمس فى حضنه ، وتهفو إلى ظله والشجر
وتذكر « شبابة » فى الدروب ، تكاد تحرك قلب الحجر
وتدمع عيناك من لوعة ، وأنت تراجع تلك الذكر

• •

وتذكر ليل الشتاء الطويل وأحلامه الحلوة الهانية
وإخوتك الهانئين الصغار تراموا على جدة حانية
تقص عليهم أقاصيص ما أتاها عن الأعصر الخالية
إلى أن يرف الكرى فى الجفون فتغفو على نغمة ساهية

• •

وتذكر ليل الحصاد الجميل ، وتهفو إلى الحقل والسنبل
وصوت « العتابا » يشق السكون ، وينداح فى رقة الجدول
وقد رنت « الميجنا » حلوة ، ترف على نغمة البلبل
وأنت على البيدر المستحب تغنى مع النغم المرسل

• •

وفى غمرة من صداع الألم ترامى إليك حنين القمم
وقد صرخت : تستثير الحياة ، وتدعوك أنت لذاك الأجم

ودوى بسمعك صوت رهيب ، جريح الأنين ، حزين النغم
وناداك : لا تبتئس يا بنى ، وشق بكفيك ليل الظلم
وأيان كنت فإنى لديك . . أقويك . . أشعل فيك الضرم
أعلمك الثأر . . . ثأر الشريف ، إذا لوثته ضعاف الهمم

° °

وسار القطار وفى مسمعيك دوى البلاد وأنغامها
وفى ناظريك خيالاتها تمر حزانى وأيامها
وقد لطختها بعار السنين أكف الطغاة وأقدامها

° °

أخى أيما سرت : هذى الذكر ستحيا ، وتبقى بقاء القدر
ستملأ قلبك مهما نأيت ، وتبقى بعينيك هذى الصور
وتحيا وتحييك دوما . إذا ما تمشى إليك الأسى والحذر
ستذكر هذا الرصيف الحزين ، يلوح منديله بالعبر
ستذكره كلما حومت حواليك أطياف أمس غبر
وتذكره كلما أوسعوك بشتى خرافاتهم والفكر
وتذكره كلما آلموك ، وقالوا : غريب وضيع الأسر
وقالوا : أتانا يحط الرجال ، ويسرق من زرعنا والثمر
ستذكرنا فى زحام الرؤى ، وعند الهجير ، وعند المطر

وفى زحمة من صراع الحنين : ستذكر آصالنا ، والبكر
وتذكر أيامنا الخاليات وليلاتنا فى ضياء القمر
ستذكرنا رغم أنف الخطوب ، وأنف الزمان ، وأنف الخطر

* *

وسار القطار ولوحت لى بمنديلك الشاحب الذاهل
ولوح من حولى الواقفون ، ومدوا إليك يد الآمل
وقد رقصت فى العيون الدموع ، وسارت مع الذاهب الراحل
وعدت أدق الطريق الطويل ، وأمشى مع الأمل الآفل
وفى ناظرى ذهول الوداع ، ينبخ على جسمى الناحل

• •

أخى فى الكويت ، أخى فى اليمن .. أخى فى الحجاز ، أخى فى عدن
أخى : نفض اليأس عن عارضيك ، ونفض غبار الأسى والوهن
وصبراً فلا بد للبائسين بأن يثأروا رغم أنف الزمن
ولا بد أن يرجع اللاجئون ، وأن يصعدوا فوق هام المحن
ولا بد . . . لا بد .. من عودة الكريم إلى أرضه والوطن

١٩٥٣

# ياصاحبى

« إليك يا أخى .. إليك .. »
« أينما سارت بك الدروب »

ياصاحبى ما أنت وحدك ... فى العذاب ولست وحدى
كلا ففى ليل الخيام ... بقية الشعب المجدّ
الصابر الجبار يشقى ... بين تعذيب وسهد
أو بين آلام وأشـ ... ـجان وأحزان ووجد
ولقد يبيت على الطوى ... ويبيت فى سقم وبرد
لكنه ياصاحبى .. مازال ... يمعن فى التحدى
نبت المفاخر ، هؤلاء ... ونبت إيمان ومجد
هم يا أخى أهلى وينبو ... ع محبتى ، أبناء ودى
هم من أحب : فذا ابن عمى ... فى العذاب ، وذاك جدى
هى وحدة الآلام تد ... فعنا إلى أمل وورد
وهى الحياة تهيب صا ... خبة إلى يمن وسعد

فاحمل أخى عبء العلا ‏ وانهض إلى عمل وكد
فأنا وأنت على الطغا ‏ ة ، على القوى المستبد
سنحل نحن قضية ‏ بليت على أخذ ورد
فدع السياسة وانطلق ‏ نحو التجند واستعد
واترك خرافة مجلس ‏ للأمن فى حل وعقد
أو هيئة الأمم التى ‏ اجتمعت على إثم وحقد
من كل دجال يرا ‏ وغ ظالما ، أوكل وغد
إنا على وعد غدا ‏ فلنستعد لخير وعد
فإذا تعبتَ أشد زنا ‏ دك ، أو تعبتُ تشد زندى
وأصون عهدك فى دمى ‏ ياصاحبى ، وتصون عهدى

١٩٥٠

## أخي في القنال

أخي في القنال : تشق الطريق إلى ذروة المجد والسؤدد
تقحم . تقحم.. أزيز الرصاص وناضل عن الحق واستشهد
أخي .. وابتسم : فركاب الحياة يسير مع الطامح المجهد
وكن رمزنا في الكفاح المرير وأوغل .. وجالد .. ولا تقعد
وحطم قيود اللصوص الجناة ومرغ جباههم ... واصعد
يقولون : من أنت حتى تثور ... أعبد يثور على سيد ؟
وهم - منذ كانوا - عبيد الشعوب يمصون من برها المرفد
وباسم « الحماية » « والاحتلال » وزيف الحضارة و « المسجد »
أناخوا بكلكل آثامهم وألقوا عصا الغاصب المفسد
وهم ، منذ كانوا ، طحالب رجس تمص دم المتعب المقعد
وتزرع - حيث تحل - الفساد وتحكم بالقيد والمجلد
تحل دم الشعب في خسة وتسرق من كدحه المجهد

• •

أخي في القنال : ألوف الألوف إليك تراوح أو تغتدي

فلا .. لا تكل يداً .. واقتحم وحطم عداك ولا ترقد
فكم من قوى رماه الضعاف إلى البحر .. الموت .. المرقد
هو الشعب يعلو ، ولو جندوا له الكون ، من كل مستعبد
هو الحق أسمى من الغاصبين وأعلى من الجائر الأنكد
هو الحق سوف تراه غدا يرفرف فى أفقك المربد
غداً سوف يمحو وميض الحياة ضباب الأسى . فاحتمل واصمد
أخى فى القتال : سلام عليك سلام الأخوة والمحتد
سلام عليك أخا الثائرين سلام على كدك المرعد

• •

أخى فى القتال : أما فى الجنوب شقيقك فى وحدة المقصد
أخوك أنا .. رغم عصف القوى وجور المهاز والمعتدى
أخوك الجسور على قمة من المجد يختال فى المصعد
كلانا أفاق .. فويل لمن يصد قوانا عن المورد
أفقنا نمزق ستر الظلام ونسعى إلى الهدف الأوحد
وندرو اللظى فى عيون الطغاة براكين تقذف بالجلمد
أخى فى القتال : طريق الجهاد طويل .. فمهد له .. أنشد
ودربك قد رقطته الصخور فدك المعاند بالأعند

° °

أخى : قيدونى بثقل الحديد          وقالوا : حذار .. ولا تنجد
وكموا فى بسياط العذاب          وزجوا إلى سجنه الأسود
ولا يعلمون بأنى لها          ـ وإن عظمت ـ قدوة المقتدى

* *

أخى : أنحس ، إذا النيل مر          بروضك ، نجوى من الأكبد
نبث المياه لهيب القلوب          ونبعث شوق الهوى المسهد
ونسأل ، ما مر ربح بنا ،          عن الثائر .. الغاضب .. الأمجد
يقول : أخوكم هناك .. هناك          .. طموح إلى ذروة الفرقد
أخوكم .. أخو الأمنيات العذاب          .. صحا وأفاق من المرقد

* *

أخى فى القنال : دعاك الجهاد          .. فلبيت داعيك للمحمد
وسرت الجرىء .. القوى الأبى          .. تحطم من صولة المفسد
فروعته بصمود الجبال ..          وقابلت مدفعه باليد

* *

أخى فى القنال .. أخى فى القنال          تشق الطريق إلى السؤدد
لقانا .. غداً .. فى رحاب الحياة          وفى ظل موطننا المسعد
لقانا غداً .. مرحباً بالخطوب ..          وأهلا بها فى سبيل الغد

١٩٥١

# كتائب التحرير

شق الطريق كتائب التحرير ... وتقحمي ليل الكفاح وسيرى
هذى طريق المجد فامضى وانهجى ... وتغلغلى فى حلكة الديجور
وتجشمى هول الصعاب وذللى ... هام الدخيل لبأسك المأثور
ناداك صوت الخالدين فأقدمى ... واستجبليه بشعلة من نور
يوم الخلاص دنا فكونى فدية ... لطلائع الإنقاذ والتطهير
وليجمع الباغون ما فى وسعهم ... من عدة التخريب والتدمير
وليدفع «التاميز» آلافا إلى ... هذا الطريق الشائك المحظور
فالحق أعلى والضعيف إذا صحا ... أقوى من المستعمر المغرور

* *

أكتائب التحرير .. هيا سطرى ... بدم الدخيل وثائق التحرير
واستخلصى الحق المضيع واثأرى ... فى كل شبر للدم المهدور

١٩٥١

# نشيد فلسطين

من كهوف البؤس ، من ليل الخيام
سوف نمضى دائماً إلى الأمام
سوف نمضى فى عناد واحتدام
وبشق الشعب أستار الظلام
بنفوس لا تبالى بالعنا
دائما فوق الشفاه دائماً هذا النشيد
يملأ الدنيا صداه هاتفا فينا يعيد :
إنما النصر لنا

° °

الذرى الشماء والعقب الحبيب
والشطوط الخضر والمرج الخصيب
كلها نادت إلى اليوم الرهيب
لانبثاق الفجر ، للنصر القريب
لاندفاع الشعب حراً مؤمنا

دائما فوق الشفاه دائماً هذا النشيد
يملأ الدنيا صداه هاتفا فينا يعيد:
إنما النصر لنا

° °

لن يفل عزمنا المستعمر
نحن منه يا بلادى أكبر
إنه الإيمان فينا يزخر
هاتفا هيا استميتوا واثأروا
واصرخوا إما حياة أو فنا
دائماً فوق الشفاه دائماً هذا النشيد
يملأ الدنيا صداه .هاتفاً فينا يعيد:
إنما النصر لنا

° °

يا بلادى سوف لا نلقى السلاح
قبل أن ننشر أنوار الصباح
قبل أن ننقذ هاتيك البطاح
بجهاد ونضال وكفاح

سوف لا نرضى سواها موطنا
دائماً فوق الشفاه دائماً هذا النشيد
يملأ الدنيا صداه هاتفاً فينا يعيد :
إنما النصر لنا
إنما النصر لنا

# نبع الخلود

يانيل .. يا نبع الخلود .. حنانا | حينك فى فجر الوثوب .. دمانا
يانيل – والجنات أنت ضممتها | فى لهفة ، وحضنتها ولهانا
فتناغت الأطيار فى أعشاشها | وتناغمت تستلهم الألحانا
ونسائم الروض الندى تسلسلت | فى شاطئيك تداعب الأغصانا
وزوارق الأحلام فوقك لوحة | سحرية قد هزت الفنانا

° °

أنت اندفقت فكنت فيضا خالدا | وخلقت من رمل القفار جنانا
حينك دنيا الخالدين وبشرت | تستقبل الأبطال والشجعانا
وطلائع البعث الجديد تقدمت | تلقى إليك ، أبا الحياة ، عنانا
والغر من نسل الكفاح أشاوساً | زحفوا إليك ، فروعوا الميدانا
والثأر يغلى فى العروق مؤججا | فيها جموحاً يهزم الطغيانا
وبكل منعرج ، وكل ثنية | عزم الجهاد يحطم الصوانا

أبناؤك الأحرار، يانيل، اعتلوا ... هام الخلود .. وذللوا الأزمانا

* *

يا نيل : أشبال الكنانة أقدموا ... يتقحمون الموت .. والنيرانا
جاءوا «القناة» عواصفا مجنونة ... حملوا النعوش وجهزوا الأكفانا
«الله أكبر» نفحـــة علوية ... يتدافعون وراءها بركانا
ساروا .. وثاروا .. طاحنين أعزة ... لم يعرفوا الإحجام .. والخذلانا
جابوا ثراك بأكبـد مشبوبة ... نادت ، بشوق، تطلب الرضوانا
هم نبتك الغالى .. شباب ناضر ... نذروا الحياة فداك والعمرانا
يانيل .. يانبع الحياة .. وفيضها ... قد شاء شعبك أن يكون ، فكانا

* *

ماذا هنالك فى «القناة» ؟ مجازر ... تتخطف الأشياخ .. والفتيانا
لم ينج من نيرانها طفل .. ولم ... ترحم مريضا ، أو تغث إنسانا
حتى الجنازات استباحوا قدسها ... يا للوحوش لقد بغوا كفرانا
الله يشهد .. والقداسة .. أنهم ... داسوا الشرائع، مزقوا الأديانا
يانيل .. شرع الغاصبين مقاصل ... ومجازر لا تعرف الإيمانا ..
ومجالس فيها القوى محكم ... يقضى ويبرم ، خادعا ، شيطانا
ويقول : جئنا «للسلام» ، وإننا ... لا نطلب التكريم والشكرانا
جئنا لنحمى مصر من متحفز ... ألقى الشباك وجمّع الفرسانا

وجنودهم ، ياويحهم ، فى أرضنا قتلوا النفوس وهدموا البنيانا
أنهادن الاعداء، ملء ربوعنا ونقول : ما زلتم لنا إخوانا
هذا ، لعمرى ، منطق متلون قد يخدع الجهلاء . . والعميانا
لكننا نحن الذين تفتحت أجفانهم ، وتسنموا الحدثانا

° °

يا نيل بشرى سوف ينكشف الأذى
وتعـــود ترفل هانئا جـــذلانا
يوم التحرر من دخيل غاشم غال البلاد وشتت السكانا
ستعود يا نبع الحياة محررا ويعود فيضك يغمر الشطآنا
تعطى فتحيا من عطائك أمة صلى لها المجد الأثيل ودانا
وتغرد الأطيار وهى طليقة بين الرياض تقبل الريحانا
وترى شبابك فى قتام غبارها طردوا العدو، وحرروا الأوطانا
ويرفرف العلم المفدى زاهيا فوق الربوع معززا .. مزدانا
يا نيل دمت على الزمان مخلدا وبقيت تروى مصر والسودانا

# زهرة لاجئة

« إلى الزهرة المعفرة ، التى اضطرتها »
« أعاصير الخريف أن تترك الذرى ، »
« لتموت بين الأوحال بعيدة عن الجبل .. »

أليس حراما على عمرها ، تنوح وتندب فى عرسها ؟!
وإشراقة الفجر فى ثغرها ، تموت ، وتسقط عن شمسها ؟!
نمتها الطبيعة بين الذرى ... هنالك عند رؤى أمسها .. !
هناك .. وعاشت هنيهة حب طهور يسبح من قدسها .. !
وليس سوى أمها فى المساء ترف الحنان إلى رأسها .. !
تقلبها حانيات الغصون ، وتلقى التحيات فى همسها .. !

* *

إلى أن أفاق الزمان المشت ، وراح يميل على كأسها
وهبت أعاصيره الجامحات وثارت تمكر من أنسها
وفى غمرة من صداع الرؤى أفاقت تفتش عن نفسها

ولكنها اصطدمت بالحياة ، تذوب الطهارة فى رجسها
وراحت تعذبها أنمل . . . وتستخلص الروح من حسها
وكانت أنامل هـذا الزمان تقصر بالأمس عن لمسها
فثار بها عزها المستفز ... وجنت تفتش عن رمسها

١٩٥٣

# عائد من الميدان

أنا قد عدت ، وهذا ضربي شاهد انى به لم أغلب
صلت ، والإعصار فى غضبته وتقحمت أجاج اللهب
وتسنمت على منكبه مشرق الشمس ومسرى الشهب
وتخطيت لججا كلما صلت فيها زأرت من غضب
أنا كالبركان قد فجرتها فوق رأس الظالم المغتصب
لم تكن يوما لترضى أن ترى موطناً للداعر المغترب
حملت مثلى على غاصبها ما شكت من نابه والمخلب
جولة كانت ، وكنا أسدها نتحدى كل باغ أجنبي
كل لص سارق مستلب جاء يسعى فى مسوح الثعلب

• •

وحملنا بسلاح فاسد أرسلته بغشة الذئب الغبي
تاجروا بالدم ؛ يا ويلهم .. وتحدوا وثبات النجب
خادعونا حقبة مظلمة ومضوا فى غيهم والسلب
لم نكن ندرى بأنا لعبة لعبيد الصنم المحتجب

يتهارون على أقدامه ... سجدا للغيد أو للذهب
حللوا كل حرام وبغوا ... واستباحوا حرمات الحرب
ومضوا فى غيهم وانطلقوا ... كالمطاشى فوق تيه السبسب
حسبوها لذة خالدة ... رغم أحداث الزمان القلب
زوّروا شتى أقاصيص غدت ... ملء أفواه الخنا والكذب
غير أن الجيش قد باغتهم ... بفجاءات القضاء المرعب
فهوى عاليهم سافلهم ... وبدا من كان خاف الحجب
لاهث الأنفاس لا يعصمه ... ماله من حسب أو نسب
فجأة ! وانهزم الباطل فى ... لحظة ، ليس له من مهرب
أين ؟ لا معقل يحميه ولا ... دمعة من راحم منتحب
ها هى الأقدار فى قهقهة ... كرعود زمجرت فى السحب
أطلقتها دفقة جارفة ... تتخطى منكبا فى منكب
ليس ترضى ظالما مهما سما ... فوق صرح بالدما مختضب
لا ولا الإقطاع فى ماخوره ... سالبا حق الفقير المتعب
لا ولا العامل يشكو كربة ... إنها أودت بليل الكرب

● ●

إنه الفجر فهيا هللى ... للقاء يا بلادى واطربى
لا تقولى شوهتنى وثبة ... أمس فى وجه العدو الأجنبى

لا تقولى شرهتنى إنها شرفتنى بيلوغ المأرب
ها أنا عدت وساقى بقيت في فلسطين حديث الحقب
ويدى قد جاهدت صابرة ثم طارت فى سماء النوب
لم أشوه إنما جملنى أننى عدت بأسمى الرتب
النياشين التى أحملها ناطقات بالحديث العجب
بدمى سطرت آمالى التى كبتت فى صدرى الملتهب
أنا لن أنسى أخا واريته فى التراب الطاهر المختضب
سوف آتيه غدا أو بعده حاملا لفجر الخلود الأرحب
كيف أنسى (تبة) خالدة كيف أنساها وفيها مطلبي
كل شبر ناطق فى أرضها ببطولات الشباب الطيب
أنا ماشوهت، لا، لكننى عدت مزهوا كريم المنسب
الملا قد سرت فى موكبها فإذا الشعب جميع الموكب
فتبسمت على الجرح الذى بعث الحق بصوت أغلب
إنه العدل سيمضى حاكما ليس فيه مهرب للمذنب

• •

يا أخى الجندى يا كل المنى يا صديقى يا ابن أمى وأبى
إنها مصر على الدنيا زهت وسمت فوق جبين الكوكب
كلنا جندها إن هزها صيحة من ظالم مستلب
فالضحايا دائما رمز فدى لعرين خالد أو مذهب

# إرادة الشعب

دوى النفير على الفضاء يزمجر ويهز آمال الطماح ويزأر
والرعب .. منتصب يتنقل طرفه بين القصور الشامخات ويسخر
الجيش أوقدها وأضرم نارها ومضى بها لهبا يثور ويزفر
الجيش أعلنها ، فحقق نصرها رب يؤيد من يشاء وينصر
ما ذا رأى الجيش الكريم ؟ لقد رأى
شعبا تقاذفه الشقاء المعسر
ورأى لجلاديه صولة عزة ورآهم عبثوا به واستهتروا
وتزعموه برغمه وتحكموا في حقه ، وتسلطوا ، وتجبروا
قالوا له ليست لك الأرض التي تسقى ولا الريف الجميل الخير
كلا ولا النيل الحبيب فإنه ملك لإقطاع يصول ويأمر
حرموه من غرس الشباب وجهده حرموه من عرق ينز ويقطر
حرموه من خيراته وهي التي من كفه تعطى الحياة وتثمر
ورموه شلوا للقضاء ممزقا يقتاته مرض يدب وينخر
وتصبر الشعب الأبي مسالما حتى توقد حقده يتفجر

فهوى بجلاديه دون ترفق ... ومضى يمزق شملهم ويبعثر
ومشى وراء الجيش يحمى ظهره ... وجموعه فرحا تتيه وتفخر
والشعب إن يرد الحياة فإنه ... لابد يبلغ ما يريد ويظفر
هى شرعة الكون العظيم ونهجه ... شعب يسود وظالم يتقهقر
ومعاند يقضى عليه عناده ... ومسالم يرمى العنيد ويقهر
وكريم نفس عف عن طرق الخنا ... مترفعا عما يشين ويحقر
ومجاهد يمشى على جمر اللظى ... ويشق درباً للكفاح ويمخر
لم يثنه عن قصده ومراده ... رعد يجلجل أو رياح تصفر
اليوم قد كشف الأذى وتبددت ... سحب تمر على البلاد وتعبر
مصر الحبيبة حطمت نير الأسى ... وتهدم الجلاد والمستعمر
برئت من الأمس المشين ورقه ... ومن القوى على الضعيف يسيطر
ومن الجناة المارقين وظلمهم ... بالمجد والأقداس باعوا واشتروا
باعوا الضمائر والمبادىء والعلا ... وتحجرت أكبادهم ، وتحجروا
لم يعطفوا يوما على متألم ... يشكو الطوى ، كلا ، ولم يتأثروا
وإذا رأوا إخوانهم فى بؤسهم ... شمخوا على آلامهم واستكبروا
بوركتِ مصر . تلفتى وتأملى ... شعبا تنفض للكفاح يزمجر
شعبا أفاق من السبات بأسره ... لا خادع يغويه أو مستهتر
النور ملء ربوعه متدفق ... والوهج مشبوب يطوف وينشر

لم يبق أعمى في ظلام جهالة ... يقضى عليه منافق متستر
أو ساهما في برجه مستسلما ... لخياله يقتات منه ويعصر
أو متعبا يسعى بجرجر بؤسه ... في ظل «سيدة» تسب وتنذر
أو طالبا عملا يريد وساطة ... ويريق ماء حياته ويقطر
أو حاملا لقبا يتيه به على ... من دونه ويدوسه ويحقّر
أو قاتلا باسم العدالة مجرما ... يقتات من مال اليتيم ويوسر
لم يبق من ظلم، لقد كشف الأذى ... وهوت رؤوس الظالمين تكسر
فالشرق أنى سرت دفق جارف ... وتحفز، وتوثب، وتحرر
يا مصر أنت بعثت آمالا لهم ... دوّت على سمع الخلود، وتهدر
بوركت.. ماعز البلاد وفخرها؟ ... إن لم يحررها الشباب النير
إن لم يعززها ويرفع شأنها ... جيش يصول على العداة ويثأر
سيرى مع الركب الحبيب طليقة ... فلقد مضى العهد البغيض المنكر
وتفتحى كالزهر في أكمامه ... يهدى شذاه إلى الدنى ويعطر
وتدفقى بالنيل فيضا خالدا ... يسقى رباك الخالدات فتزهر
يا مصر، والسودان نحوك وامق ... وإليك من لهف يتوق ويشعر
يهفو لوحدة موطن متحرر ... يزهو به الأمل الحبيب ويزخر
يا مصر يا أمل الشعوب جميعها ... سيرى فعين الله نحوك تنظر

# غُرباء

«إلى إخوانى الفلسطينين ، الذين»
«كتبوا إلى ، يقولون: نحن غرباء ،»
«غرباء فى كل قطر نحل به . . .»

غرباء ، فى الكون أنى مشينا ولأى من البلاد أتينا
غرباء ، ضاقت بهمتنا الأرض وضجت ، واستثقل الناس منا
غرباء ، وخلفنا الوطن الحر ينادى . . . أيان شعبى .. أينا؟
غرباء ، وأرضنا منبت المجد بنيناه شامخاً إذ بنينا
غرباء ، نسير فى كل درب والحنين المشبوب فى شفتينا
غرباء ، وكل ذنب كبير ألصقوه بنا ، وقالوا .. فعلنا
غرباء !! من أين ؟ ألف سؤال مستثار ، وألف معنى .. ومعنى
غرباء ، كم بجرم قد رمانا بأذاه ، وكم لئيم تجنى
غرباء ، حتى كأن الليالى لم تسم غيرنا شقاء وحزنا
غرباء ، فى كل قطر نلاقى لاسمنا .. قصة تهد وتبنى

• •

غرباء ، لكننا جبهة المجد لنا صفق الفخار وغنى
غرباء ، لكننا همة شماء تسمو بما تريد وتهى
غرباء ، لكننا قد حطمنا هامة الظلم عزلا يوم ثرنا
غرباء ، ونحن من أيقظ الشرق على ثأره المضاع لجنا
غرباء ، سلوا فلسطين عنا وسلوا كل ثورة ، كيف كنا
غرباء ، ونحن من جبل النار اندفعنا مشاعلا وانطلقنا
غرباء ، ونحن من منبت المقدس من بيتها المطهر جئنا
غرباء ، لقد ظلمتم علانا وجرحتم منا الفؤاد فأنا
غرباء ، والشمس تعرف من نحن وتدرى من أى أفق طلعنا
غرباء ، والريح نحن أثرناها فكانت عواصف الحق منا
غرباء : سلوا الثرى كم شهيد عبقرى .. قضى لنا واطمأنا
غرباء ، ما زعزع البؤس منا همة للعلى .. ولا هد ركنا
غرباء ، لنا لآمالنا البيض سنطوى الفساح بونا فبونا
غرباء ، غداً نعود إلى الأرض إلى المجد ، أو نموت ونفنى

١٩٥٤

# قالت تسائلنى

« مهداة إلى الأديبة الآنسة (ب) ... »

قالت تسائلنى ، وفى ألحاظها ما يؤلم
ورنت إلى بنظرة من لهفة .. تتكلم
وعلى يديها قطعة منها ، بصمت تحلم
قالت : أترجع للبلاد ... فإننى أتضرم
والشوق يحرقنى إلى تلك الربوع ويسقم
والذكريات تهزنى بحنينهـــا وترنم
أمسى هناك ، وهل سوى أمسى الذى يتبسم
السفح يدعونى إليه ، والذرى ، والأنجم
والشاطىء الباكى على صخر الأسى يتحطم
والمنزل المهجور غير رؤى الخيال تهوم
كل يناديني يقول : متى نعود وننعم ؟!
قالت .. ولم أسمع لها ، فكأننى لا أفهم !
ورنت إلى بحيرة ... وعيونها تستفهم !
ومضت ، وملء مسامعى منها صراخ مبهم !

١٩٥٣

# أخي ..

« إلى أخي الفلسطيني ، أينما حل . »

أخي أينما سرت في أي قطر
ستمضي وراءك أبيات شعري
بعصف ، وإعصار نار ، وجمر
وتهدي إليك عصارة فكري

• •

تقول : فلسطين ، لا تنسها
فمن نبتها .. أنت ، من غرسها
ومن عزها ، أنت ، من بؤسها
ومن مجدها ، أنت ، من قدسها

• •

تناديك : هيا .. ولا ترقد
وغامر ، مع الأمل المربد
مع القدر الحالك الأسود

إلى وثبة فى ضياء الغد

• •

أبوك: على أرضها استشهدا
وفوق ذراها تحدى العدى
وقال: فلسطين إنى الفدا
وما ذل يوما، ولا استبعدا

• •

تذكر أخى كل شبر هنا
إذا ما انطلقت تجوس الدنا
فلا تنس أن تذكر الموطنا
وتسعى إليه غداً مؤمنا

• •

أخى: إن حوتك كهوف العذاب
وهز صغارك ظفر وناب
وعوت حواليك تلك الذئاب
فصبراً إلى أن يحين الإياب

• •

تحمل رياح الشتاء العنيد

وقابل أعاصيرها بالنشيد
فأنت لها رغم قصف الرعود
غداً سوف تمشي لفجر جديد

• •

أخي : أينما سرت فالملتقى
إذا أرعد الثأر أو أبرقا
هناك لنا موطن مزقا
سنرجعه غانماً مشرقا

• •

سنمشي إلى الأرض نحمي حماها
ونمضي أعزاء نروي ثراها
سنحيا فداها ، ونقضي فداها
ولا .. لن نريد بديلا سواها

• •

لنا مرجها المخصب الأخضر
لنا سهلها المونق المزهر
لنا شطها الناعم الأصفر
لنا قدسها ولنا المنبر

• •

سنمشي بيافا، وحيفا، وعكا
ندك حصون المفاسد دكا
وننفض عار المذلة عنا
وندفن يأسا تفشى، وشكا

• •

ونأتي إلى «اللد» و«الرملة»
براكين تقذف بالنقمة
ونرفع بالعز والمنعة
بناء الكرامة والعزة

• •

أخي: أينما سرت شعري يسير
ويدفق إحساسه والشعور
لقانا غدا يوم يدعو النفير
أخي: وهناك، هناك المصير

١٩٥١

# إنى مللتُ

« إلى الآنسة الكريمة ، التى »
« ابتعدت مع الاعصار ، »
« وتركتنى وحدى أجالد الريح »

إنى مللت ، مللت عمرى ومللت قيثارى وشعرى
ومللت أحلامى . . . تخبط خلف غايتها . . . وتسرى
تمضى . . . وراء المستحيل وراء مجهول . . . تمر
ما ذا تريد . . ؟ وأين تمضى يا ترى . . . ولأى فجر
أذوى وأذبل . . . مرهقا بتساؤلى المحموم . . فكرى
إنى مللت . . مللت سمارى وعشاق . . . وخمرى
إنى مللت الناس ضلوا بين إيمان وكفر
يتلونون تلون الحرباء فى خبث ومكر
إنى مللت . . . تساؤلى : أين المصير ؟ لأى قطر ؟
وتطلعى للغيب أبحث فيه عن مكنون سرى
ومللت ساعاتى . . . تمر ، تضيع ، فى أرق وزفر

ماذا ترانى صـــانعا ولأى شىء كان أمرى
ولأى آفاق أظـل أجوس من قفر لقفر
أنرى ... لشىء غامض هو فوق إحساسى وقدرى
إنى مللت ... مللت قولى دائما : لا ، لست أدرى !

١٩٥٢

# إلى أين ..؟

« إلى الطائر الحزين . الذى »
« ألقته الجراح بعيداً عن وكره »

إلى أين أمضى .. مهيض الجناح
أفتش فى الكون عن موطنى ؟
عن الأيك ، أيك الشباب النضير
عن الوكر .. وكر الصبا اللين
عن الهمس بين حنايا الغصون
يسبح تسبيحة المؤمن ... !
إلام أعب السراب المضل
وأشرب من كأسه المحزن
وجرحى يحدثنى ... أننى
سأقتل ... بالألم المثخن
وكل الأطباء قالوا : الشفاء
بعيد عن المرض المزمن !

° °

تلفت فى لهفة الجائعين
إلى « لقمة » فى يدى « محسن »
ألا قى هنا ، بين هذى الشعاب
مكاناً أحط به « مدفنى » ؟

١٩٥٠

## يا بلادي

يابلادى لك شجوى وأنينى وبكائى
لك حبى واندفاعى وغرامى ووفائى
لك ما أخلق من فن تغذى بدمائى
أنا لولاك لما أرسلت للكون ندائى
أنا لولاك لما أنطقت قيثار صفائى
كنت بالأمس وملء الأمس شدوى وغنائى
كنت غريدك غريد مغانيك الوضاء
كنت أستلهم من ظلك وحى الشعراء
من روابيك وأنهارك من حلو الرواء
من بساتينك أستنشق أنفاس الهناء
من حداة أرسلوا فى القفر أصوات الحداء
ورعاة تركوا فى المرج ألحان المساء
يا بلادى مبعث النور ومهد الأنبياء
قدسك الأسمى لقد ديس بغدر الخبثاء

يا لأوروبا لقد عاثت بعهد الحلفاء
وطغت أذنابها فى الشرق ترمى بالشقاء
قذفت بالإفك والتخريب بين الزعماء
خلقت دولة إسرائيل من طين الهباء
خلقتها شوكة فى الشرق من أخبث داء
يابلادى ، يافلسطين ، ويا كل رجائى :
دولة الظلم - وإن طالت - ستهوى للفناء

١٩٥٠

# حيفا

ويلاه هل بعد المصاب مصاب
عى الغناء وجفت الأكواب

وهوت مزاهر كن خير مزاهر
رنانة إيقاعها إعجاب

حيفا الحبيبة : أين منك أحبة
كانوا ، وأين تفرق الأحباب ؟

أين الليالى الحافلات بأنسها
أين الحسان هناك والأتراب ؟

حور من الجنات صفوة حورها
غيد على صدر الزمان كعاب

روعن بالحدثان وهى عصيبة
ورمين بالأيام وهى غضاب

فتناثر العقد الثمين على الثرى
وحوى الجمال العبقرى تراب

وتمزقت أكمام زهرك عنوة
وهوت ، ولم تحفل بها الأعشاب

حيفا الحبيبة : هل لأمسك رجعة
وهل الشباب يعود وهو شباب؟

أين المجالس فيك يجمع شملها
حلو الحديث ومرقم وكتاب ؟

حيفا عروس خواطرى ومشاعرى
مالى عليك من الزمان عتاب

أنا لست بالباكى ولكن من أسى
جالت دموع واشتكت أهداب

صبوا عليك من اللهيب قذائفا | من إفكهم وخداعهم تنساب
زحفوا عليك جحافلا جرارة | تمشى إليك وكلها إعجـــاب
فدفعت للميـدان كل محارب | بل كل من شبوا لديك وشابوا
وصرخت فى طلب السلاح لفتية | لبوا بغير تسلح وأجابوا
يتدافعون إلى المنـون بلهفة | والموت ظـفر فاتك أو ناب
والطائرات على ذراك مغـيرة | والإثم والتدمير والإرهاب !

• •

لولا خداع الانجليز وغدرهم | ما عاث فى غاب الأسود كلاب
الانجليز وكل شعب صارخ | ويلاه منـه فإنه كذاب
والغرب يا للغرب إن قدومه | نحو البلاد مصيبة وخراب
هو «أخطبوط» فاجر مستعمر | فى كل ناحية له أذناب

• •

أمدينة الاحرار: نوحى واندبى | فالأهل عنك وعن رحابك غابوا
تتساءلين . . . وفى ذراك تحسر | وعلى رباك تأثر وعـذاب
أين الألى تخذوا الجبال معاقلا | فى ثورة ذلت لها الأحقاب ؟
أين الألى؟ ويضيع صوتك دون ما | يهذى على ثغر الزمان جواب؟
بالله يا حيفـا . . . وقد فارقتنا | بالله هل بعـد الغياب إياب ؟

١٩٥٠

# يا أخي النازح!

يا أخي النازح والكون كبير وفسيح
يا أخي : ليس سوى الأوطان للمجد صروح
إن تمت في الوطن الحر ويحويك الضريح
سوف تبقى روحك الحرة تغدو وتروح

° °

الشطوط الخضر تدعونا إليها وتنوح
والذرى تبكى علينا ، وتناجينا السفوح
وعيون الوحى قد جفت ، وواراها النزوح
والأناشيد طواها الصمت والصمت قبيح
يا أخي : الحقل يناديك ، وتدعوك الجروح
جنح الباغي ، وللباغي عن الحق جنوح
إنما الحر إذا ما كشر الدهر جموح
وإذا ما هتف الداعي إلى الموت طموح

° °

يا أخي ليس سوى أرضك فيها تستريح
كل شبر في فلسطين ينادي ويصيح :
أين شعبي ، أين شعب صادق العزم صريح ؟

٥ ٥

١٩٥٠

# عاد الربيع

عاد الربيع ، ولم يعد راع . . . ولا عادت شياه
عاد الربيع ، وليته ما عاد ، يغمرنا أساه
عاد الربيع ، وموطن الأحرار . . . جرداء رباه

٭ ٭

النبع جف ، فلا خرير على السهول ، ولا مياه
والناى بح . . . ولم يعد فى مسمع الدنيا غناه
والنازح المسكين ظمآن . . . يعذبه ظماه
هز الحنين فؤاده . . . والجوع أعول فى حشاه

٭ ٭

وطن الأباة أهكذا يعدو الزمان على الأباه
فى كل زاوية نرى طيفا تعذبنا رؤاه ؟
وبكل ناحية أبى صارخ : . . . واموطناه ؟
مهما تعاركه الدنا . . . والعمر يبلغ منتهاه

مهما يحاربه الوجود ، وتملأ الدنيا عداه
سيظل يهتف دائما : « وطني . . ولا وطن سواه »

* *

١٩٥٠

# لاجئ . . . !

أين يمضى . . ؟ راعش الساق . . تولاه الكروب ؟
وإلى أين . . . ؟ وفى جبهته . . . لاح الشحوب
عرق الإجهاد . . . والإرهاق نزاف ، صبيب
وعصاه . . كلما اهتز . . . أنين . . . ونحيب
حملته بعد أن ضاق به العمر الجديب
وعلى كاهله . . . أنقاض أيام تغيب
صور الأمس . . . التى غيبها عنه المشيب
هو لا يدرى إلى أين . . . تلقاه الدروب
قيل عنه : لفظته أرضه . . . فهو غريب
حائر يضرب فى القفر ، وفى التيه يجوب
أهله . . . ولوا ، وما ظلت له ، إلا الندوب
ذهبوا . . واحسرتاه . . لا قريب أو حبيب
ومضوا والموت ، أظفار ، وأنياب تصيب
هو فى شوق إلى الأهل . . . وللشوق لهيب

فى العودة والموطن بالحق خصيب ؟
أترى تكحل عيناه به . . . وهو قريب ؟
أم ترى يبقى بعيداً . . . والمنى عنه تغيب ؟
خيم الصمت ، فلا صوت ولا لحن يجيب
ومشى الشيخ . . وفى أنفاسه ، عزم عجيب
سوف نمضى . . . وغداً سوف نؤوب

١٩٥٢

# الحديقة الحزينة

« إلى النفس الحزينـــة ، التي »
« عرفتها ، وأمسكت بخيط »
« دقيق من خيوط ألمها ، عسى »
« أن أخفف من يأسها . . . »

مسكينة . . تبكي ، فتلهم قلبي المحزون شعرا
وتقول للأكمام من أزهارها : لا كنت زهرا . !
موتي . . على فجر الحيـــاة ، وأطبقي للموت ثغرا
إن الذي روّاك من أعصابه . . . حباً وطهرا
أقصته عنك يد الزمان المستبد قوى وغدرا
نوحي عليه حزينة . . لا تغمري الأجواء عطرا
أخشى أزاهير الطهارة غدر عربيد تجرا
داس العفاف بخسة . . وطغى . . على الأقداس جهرا
فالحارس المحبوب . . غاب ، وكان ملء الدهر قدرا

بالأمس كان إذا تحرك يقتل العادين ذعرا
واليوم لم أسمع له . . في صفحة التاريخ ذكرا
زهرات لا تتفتحى . . . فالموت بالأطهار أحرى
نوحى على سمع الحياة وأرسلى الأنات تترى
حتى يعود الغائب المحبوب للأوطان حرا

١٩٥١

## من الحياة

« فى غمرة من ألم ، جلست إلى »
« أختها الصغرى ، تبثها أنين »
« قلبها ، وصراخ روحها . . »

أختى إذا انتحر الشباب     ومات فى ثغرى ، وغاب
ورأيتنى أمضى على     درب الحياة بلا إياب

* *

قولى : لقد ماتت هناك     هناك من فوق الرصيف
كانت هناك ، تمد كفيها     فلا تجد الرغيف

* *

وإذا سئلت : متى وكيف ؟     تحسرى . . . ، لا تنطق
ثم انظرى ؛ نحو السماء     بلوعة . . . ، ثم اطرق

* *

قولى : هناك رأيتها     تذوى .. على شفة المغيب

وعلى يديها حيرة تستنجد الصبر الغريب

* *

وإذا سئلت: متى وكيف تحطمت . . . أحلامها ؟
ولأى درب فى الحياة تدحرجت أيامها ؟

* *

قولى: لقد أبصرتها مذهولة عند المساء
تاج الطريق بنظرة مشبوبة نحو السماء

* *

وتقول أبصرت الضعيف يعيش مقصوص الجناح
حتى يموت على الطريق ولا يموت له جراح

* *

أختى وإن قالوا: وأين دفنت شلو شبابها ؟
وتساءلوا: ومن الذين مشوا وراء ركابها ؟

* *

قولى: أناس شاحبون على الطريق تجمعوا
ساروا أنينا صامتاً منه القلوب تقطع

* *

حملوا الرفات عن الرصيف إلى مكان مظلم

دفنوه فيه بالدموع وبالأنين المؤلم

* *

أختي : فإن يوماً مررت هناك من قرب الرصيف
قولي : وكم عذراء حطمها على الدرب الرغيف

١٩٥٠

# أين منى!

« ألقيت فى مهرجان شعبى »
« أقيم فى قاعة سينما السامر بغزة »

أين منى القيثار ، والصهباء والغناء الجميل ؟ أين الغناء ؟!
والأمانى العذاب كيف تهاوت عن عيونى .. والليلة القمراء ؟
أين منى أحلام عذراء روحى أين منى أحلامها العذراء ؟
يا لنفسى ! . . ويا لحرقة نفسى طوى الحب والهوى والهناء ؟
فالأحباء ليس منهم قريب مزقتهم بغدرها الأرزاء

* *

أنا والله ، زهرة مزقتها حملات من الدنا شعواء
أنا قلب ، فى لفحة النار يشوى أنا روح أرخى عليها الشقاء
أنا بعد الذى أصاب بلادى من بلاء كأنه بكاء
حطمتها الأنواء فهى عويل وأنين . . وحسرة . . وبكاء
كيف أشدو وملء عينى أحلامى تهاوت ، كأنها أشلاء ؟

وفلسطين غادة الشرق قالوا : قد أصيبت ، أصابها الإغماء
قيل : ماتت ، وقيل : مازال فيها رمق عالق عليه الرجاء

* *

أين منى تلك الذرى ؟ أتراها حالمات يموج فيها الرواء ؟
والسهول الفساح كيف هى الآن وكيف ! الزهور والأنداء ؟
والشطوط الشطوط كيف غناها أتراها ما زال فيها بهاء ؟
أم تراها تبكى ، وتدعى أناساً فارقوها ؟ وأين منها اللقاء ؟

* *

فجأة ، وانطوى البساط ، وجفت خمرة الكأس ، واختفى الندماء
فإذا الموطن العزيز ذليل وإذا الأهل . . أهله . . غرباء
وإذا نحن بعد عز ومجد حطمتنا الزعازع النكباء
خيم الصمت ، أى صمت مريع لبسته المآذن البيضاء ! !
مات فيها الأذان فهو نواح وتلاشى الدعاء فهو رثاء
والنواقيس فى الكنائس تبكى قد عراها الذهول والإعياء

* *

أيهذا الشباب ، يا زهرة العمر لأنت المنى ، وأنت الرجاء
أنت ركن السمو للمجد والعز وأنت البناء ، والبناء

أنت زهر فى السلم ينفح عطرا ولدى الحرب ثورة هوجاء
أيهذا الشباب كونوا حياة غير تلك التى رماها القضاء
وأحبوا بعضكم، وكونوا رجالا فعليكم ستوضع الأعباء

١٩٥٢

# أين عيناك

«ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم»
«بمناسبة مرور أربعين يوماً»
«على وفاة فقيد الشباب والعلم»
«المرحوم : نعيم محمد فارس»

أين عيناكَ يا نعيم ؟ ترانى ضاربا فى مفاوز الأحزان
أتلقى الأنباء فى حيرة الذاهل بين التكذيب والإيمان
أقطع العمر فى قفار من اليأس توالى الكثبان فى الكثبان
حيرتى حيرة السفين إذا ما ضللتها جهالة الربان

. .

كيف أنساكَ يانعيم ؟ أأنسى أمل البكر والتفاتَ الأمانى ؟
كيف أنساك والرؤى ملء عينى وخفق الحنين فى آذانى ؟
كيف أنسى مجالسا كنتَ فيها نجمها اللامع البليغ المعانى ؟
مرحا ملهم الفؤاد كريما لبقا طيبا عزيز المكان
كنتَ زين الشباب روحا وعزما كنتَ فخر الأصحاب والإخوان

كنت ترنو إلى البعيد من القصد    وتهفو لنصرة الأوطان
فقطعت الطريق بالحزم والعز    م ، وطوحت بالزمان العانى
كنت ترنو إلى النجوم بعينك    إلى ما وراءها من عنان
كم تحدثت عن لقاء المعالى    وتحدثت عن صعود الحزان
وتقدمت ثابت الخطو حرا    لا تبالى بصولة الحدثان
قلتَ لى ذات ليلة : يا صديق    سوف نمضى برغم أنف الزمان
سوف نأتى إلى البلاد أعزاء    ونهوى بدولة الطغيان
وتحدثت لى عن العلم والمجد    حديث المتيم الولهان

* *

ليت شعرى ما للأمانى تهاوت
كيف خرت ؟ كيف اختفت فى ثوان ؟
كيف فارقتنا وقد كنت فينا    لمحة النور المشرق اللمعان
ويح هذا الزمان فى كل يوم    حادث ، إثر حادث ، إثر ثانى
فجأة وانطلقتَ للعالم الآ    خر فى سرعة ، وفى إمعان
أذهاب بلا وداع ؟ لعمرى    تلك أحدوثة الزمان الجانى
إن عهدى بك الوفى المرجى    فلماذا ذهبتَ قبل الأوان ؟
طاهر النفس كالملائك قد طر    تَ ، وحلقت فى رحاب الجنان

* *

جئت أبكيك يا أعز أحبائى ... بدمعى ، بمهجتى ، بكيانى
أنت خلفتنى على الدرب وحدى ... للأسى ، للحنين ، للأحزان
فالوفاء الذى أريد تلاشى ... فجأة ، وانطوى مع الأكفان
يا شباب المنى ، وأى شباب ... كنته فى اندفاعك المتفانى !!
كنت أقوى من الزمان إذا شئت ... وأسمى من سطوة الحدثان

° °

أنا والله يا صديق طعين ... فى فؤادى ، مثخن بالطعان
أينما سرت لمح ذكراك يبدو ... فيثير الكمين من وجدانى
أنت ما زلت هاهنا فى فؤادى ... فى دموعى ، فى لوعتى ، فى حنانى
إن ذكراك تعبر الزمن الجا ... ئر ، تطوى خوالج النسيان
سوف تبقى نشيد أحزانى الخا ... لد ، رجع الحنين ، مزج الأمان
سوف تبقى ذكراك رغم الليالى ... فى عيونى ، فى خاطرى ، فى لسانى

١٩٥٣

# سنرجع مرة أخرى

«إلى أخي في النكبة ، أخي»
«الذي ظل من عتمة اليأس»
«يشعل مصباح الأمل . . . .»

أخي مهما ادلهم الليـ ـل سوف نطالع الفجرا
ومهما هدنا الفقر غداً سنحطم الفقرا
أخي والخيمة السوداء قد أمست لنا قبرا
غداً سنحيلها روضا ونبني فوقها قصرا
ستعلو صيحة الاحرار يوم نطالب الثأرا
وتمضي جلجلات الرعـ ـب : إن براً، وإن بحرا
سنمشي ملء عين الشمـ ـس نحدو ركبها الحرا
ونطلع في الغد الآتي نجوماً حرة زهرا
غداً، يوم انطلاق الشعـ ـب، يوم الوثبة الكبرى
غداً في زحمة الأقدار سوف نحقق الأمرا
فلسطين التي ذهبت سترجع مرة أخرى

١٩٥٠

# المولد النبوى

« ألقيت فى الاحتفال بالمولد النبوى »
« فى قاعة جمعية التوحيد بغزة . . . »

أى فجر مغلغل فى الفضاء يتخطى مناكب الظلماء؟
أى وهج مشعشع يغمر الارض وينساب دافقاً بالضياء
أى حلم معبقر اللحن زاه ملهم الشدو فى فم الصحراء
رقص الرمل فالصحارى نشيد من حنان ، وخفقة من ولاء
والسهول الفساح فى غمرة الشدو أكف مبسوطة بالدعاء
والذرى والسفوح والقمم الشم تغنى للمبسم الوضاء
وقصور الطغاة فى قبضة الرعب انهيار إلى حضيض الفناء
و « مناة » مهدم الصرح هاو حطمته معاول البشراء
قد هوى الشرك فانفضى بالصحارى لطخة العار وانمضى للفناء
واسمعى غنوة الملائك للأرض وبشرى السفين بالإرساء
إنه موكب المفاخر والمجد وبعث من فرحة وهناء
شع نجم النبي فاستيقظ الكون على لمعة السنا اللألاء

وأفاقت من ظلمة الإثم أرواح عطاش تتوق للارواء

• •

ذاك طه النبي ، بشرى إلى الكون
بسعد ، ونعمة ، ورخاء

ذاك طه أبو اليتامى الحيارى ونصير الضعاف والبؤساء
هو من علم العدالة للناس بهدى الحنيفة السمحاء
فتعالى يا مكة الهدى والخير وتيهى على ذرى الجوزاء
واشرى الورد حيث جئت وشقى حجب الغيب واصعدى للسماء
وتلقى مواكب البشر أفواجا تهادى مزهوة بالثناء
أى فجر كفجر طه جميل طيب النفح عاطر الأشذاء
سوف يفنى الزمان يا مكة المجد وتفنى مواكب الأقوياء
غير ذكرى الميلاد ، ميلاد طه سوف تزهو على جبين البقاء
سوف تبقى على الخلود خلودا نتباهى بخاتم الأنبياء

• •

يا نبي السلام هذى بلادى مسرح للبلاء إثر البلاء
مات فيها الصداح ، والبشر ولى تحت أسداف شقوة دكناء
واستبد القوى يوغل فى الإثم ويهوى بهيط الإسراء
واليتامى قومى وصحبى وأهلى مزقوا فى العواصف الهوجاء

والحيارى المشردون على الارض ألوف في قبضة الأرزاء
يتلقون يوم ميلادك الحلو بفيض من الأسى والبكاء
بدموع الحنين والوجد والشوق لصوت المآذن البيضاء
أين غابت وكيف لم تشرق اليوم بهزج مهلل للسماء
كيف والقدس تسحب الذيل بكاء وتغضى فى ذلة وحياء
ترسل الطرف نحو يافا وحيفا وبقايا المدائن الفيحاء
ترسل الطرف نحو تلك الروابي لا أذان ولا بصيص رجاء

* *

يا عذارى القصيد مالى إذا قلت تثور الأحزان فى أجوائى ؟
ألأنى فارقت أهلى وصحبى ولأنى نأيت عن خلصائى ؟
الأنى كذلك النسر فى السفح جريح فى بركة من دماء
كلما هزه الحنين إلى المجد تهاوى فى قبضة الأدواء
ثم ضم الجناح منكسر النفس حزينا على الذرى الشماء
كيف تمسى وكيف تصبح لا يدرى فقد أبعدته كف القضاء
فهو فى صمته تفجر آلام ونار تؤج فى الأحشاء
أنا فى الحزن مثله أحسد الطير تغنى طليقة فى الفضاء
هى ليست مثلى سترجع للوكر مساء ، الزغب ، للأبناء
وتزق الصغار حبا وحبا وحنانا مصورا من وفاء

سوف ناق الهدوء والليل ساج فوقها جاثم على الأنحاء
غير أنى أسير من غير قصد تائهاً ضارباً وراء العزاء
دون جدوى فالريح تعصف حولى والأعاصير كلها فى فنائى
دون جدوى ، لا الفجر يسمع صوتى
لا ، ولا يسمع الحنين مسائى

* *

كنت أرجو فى مولد البشر لحنا أتغنى به طروب الغناء
كنت أرجو أن أغمر الكون شعرا
ملهم الشدو زاهى الإيحاء
غير أنى نذرت أن لا أغنى قبل يوم الرجوع ، قبل اللقاء
قبل عود إلى البلاد كريم تحت لمع القنا وخفق اللواء
قبل أن تشرق الحياة بيافا حلوة بالأعزة الكرماء
قبل أن تغمر الكرامة أوطانى فتمشى فى عزة وإباء
يومها يومها تحل قضايانا بعزم ، وقوة ، ومضاء

## سنذيقهم مر العذاب

« ألقيت هـذه القصيدة فى »
« المهرجان الكبير الذى أقامه »
« مجلس الإصلاح فى رفح . . »

من أى فجر ملهم ممراح    هذا الضياء يلوح بالأفراح
من أين ما الامنيات كأنها    بعثت تزيح ستائر الأتراح
وكأن مركبنا التى ضلت بنا    ما بين إعصار ، وعصف رياح
عادت لها آمالها فتماسكت    ومشت بهدى مجاهد وضاح
من ذا الذى قد مد راحته لها    ومشى بدفتها ، إلى الأطماح
من غير إلهام النجيب وهديه ؟    من غيره للمجد من ملاح ؟
من غيره تهفو اليه قلوبنا    فى رقة المتطلع المرتاح ؟
من غيره عقدت عليه نفوسنا    أملا بعود خالد ورواح
من غيره لا بد أن يمشى بنا    فى فيلق متوثب مجتاح ؟
لا بد من يوم نراه أمامنا    بعثا يعود « بخالد » وصلاح »

• •

يا أمة الأحرار سيرى واعملى   ونقدمى بتصبر وصلاح
سيرى ، فرفعت ، حاكم متوثب   يسعى إلى العلياء فى إلحاح
العدل أسمى غاية يسعى لها   والحلم ملء فؤاده المسماح
يسعى إلى خير البلاد ونفعها   سعى الأمين الطيب المناح
وبعينه من أهل مصر أشاوس   من كل شهم مبدع طماح
هبة من النيل الكريم لأمة   بانت على حزن ووخز جراح
فهنا نرى ، ورخاء ، تسير حثيثة   نحو الكمال بهمة ونجاح
قد شاء حاكمها بأن يهدى لها   خير الهدايا : مجلس الإصلاح
فمضى بها قدما وسار بركبها   فى سرعة وتوثب وجماح

• •

يا مصر نحن هنا انتظار لاهب   للثأر ، لليوم القريب الضاحى
فاذا دعوت إلى القتال ، فإننا   نفديك بالأموال والأرواح
فالثأر فى أعماقنا متأجج   متلهف لتوثب وكفاح
يا مصر يا قلب العروبة إننا   نرنو اليك لذكرك الفواح
يا مصر نحن بنوك إن دوى الندا   وبنوك فى الأفراح والأتراح
يا مصر مانرجوه .. أن تلق بنا   للثأر فى ميدانه ، فى الساح
والخيل تصهل والفوارس فوقها   يتعجلون مسالك الإصباح
والطائرات على ذرانا حوم   يهدمن صرح المجرم السفاح

والزاحفات تدك أوكار الألى عبثوا بأقداس لنا ونواحى
ومآذن الإسلام يرجع صوتها تدعو لخير شامل وفلاح
وترى نجيب على ذرانا رافعا رايات مجد شامخ وضاح
والغرمن نسل الكفاح أشاوسا دفقوا إليه بفيلق «الجراح»
والعابثون تحطمت أحلامهم وتمزقت فى ليلة وصباح
سنذيقهم مر العذاب ونرتوى بدمائهم ونعود للأفراح
وستغسل العار المذل دماؤنا والعار يغسل بالدم النضاح
لا، لن نموت كما أرادوا، إننا أقوى بهمتنا من الذباح

١٩٥٤

نهاية قصائد ديوان

# مَعَ الغرباء

صورة الغلاف

هي لوحة « الى أين ؟ »

بريشة الفنان الفلسطيني الموهوب

اسماعيل شموط

وكذلك رسوم الديوان من ريشة الفنان



الشاعر (هارون هاشم رشيد)



# دراسات نقـــدية

كتبها أعضاء رابطة
الأدب الحديث بالقاهرة

# منزلة هذا الديوان

## فى الشعر العربى المعاصر

« لعميد النقاد المعاصرين الأديب »
« الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى »
« مؤلف «الشعر المعاصر على ضوء النقد »
« الحديث » . . . . . . . . »

يطيب لى أن أقدم هذا الديوان الجديد ، لما لمست فيه من ألوان فنية مقدورة : تجربة شعرية ناضجة ، وموسيقى عذبة رفافة ، ووحدة أسلوبية وشعورية موفقة . صور بها الشاعر الشاب « هارون رشيد » آلام وطنه وآماله ، ولواعج أبنائه المشردين أصدق تصوير .

وهو إذ يصور هذه الآلام فى مثل قصائده « دموع ودماء » ص ٦٥ أو « زهرة لاجئة » ص ٩٠ ، أو « إنى مللت » ص ١٠٥ . لا يرمى إلى تصوير هذه الآلام لذاتها ، بل يدعو فى إضمار إلى إذابتها ، ويدق بها فى القلوب دقاً قويا للانتقاض على الحال المشجية التى وصلت إليها بلاده ، اسمع إليه يقول فى آخر قصيدة « إنى مللت » :

إنى مللت . . . تساؤلى أين المصير ؟ لأى قطر ؟

وتطلعي للغيب أبحث فيه عن مكنون سري
وملك ساعاتي تمر تضيع في أرق وزفر
ماذا تراني صانعا ولأي شيء كان أمري؟
ولأي آفاق أظل أجوس من قفر لقفر؟

فهو في الواقع لم يمل ، ولكنه يتململ مما صار إليه حاله وحال وطنه ، ويبحث في باطنه وفي سجف الغيب عن طريق الخلاص ، وهو بهذا يرتفع من شعور الملل الى شعور نبيل ، ويصاعد بقصيده إلى أوج رائع جليل .

والشاعر في القصائد السابقة وفي غيرها ، إن أخفى شعوره ولم يصرح عما يضمر صدره ، فقد جاهر بأشواقه وأحلامه وآلامه في أغلب قصائد الديوان .. فأينما قلبت صفحاته ، صافحتك بسمة الشاعر الشاحبة في محنته ، وتفاؤله في تشاؤمه ، وسموه على ألمه ، وإبراز مكنون روحه القوي الوثاب . وهي السمات العامة للشعب الفلسطيني الصلب الصبور المجاهد ، الأبي الجريء .

وشواهد ذلك بارزة في مثل قصائده « مع الغرباء » ص ١٧ ، — و « مهاجرون » ص ٣١ — و « هناك بلادي » ، ص ٣٦ - والنسر الجريح » ص ٤١ — و « سنعود » ، ص ٧١ — وغيرها من القصائد ، وفي القصيدة الأولى تسائل ليلى أباها ، وفي أحداقها ألم وفي أحشائها نار : « لماذا نحن يا أبتي ؟ ... لماذا نحن أغراب ؟ .. لماذا نحن في سقم ، وفي بؤس وفي فقر ، نظل نتيه جوابين من قطر إلى قطر ؟ » — وتظل تعاود مثل هذه الأسئلة المحيرة الأليمة ، وتترقرق من عينيها دموع ، وتندبهن فيها صرخة . فيجيبها أبوها وقد ألهبت أسئلتها قلبه ، يجيبها في إيمان وثقة : « سنرجع ذلك الوطنا ،

ولن نرضى له بدلا ، ولن نرضى له ثمنا ، ولن يقتلنا جوع ، ولن يرهقنا فقر ، لنا أمل سيدفعنا ، إذا ما لوح الثأر . . فصبرا يا ابنتي صبرا ، غداة غد ، لنا النصر . . . »

وفى قصيدته « سنعود » ، يدير حديثا مع أخته فى الوطن ، ويناجيها بأمله الواثق فى العودة بعد الثأر من المعتدين الجارمين ، ويدعوها إلى التصبر والتجلد على الألم ، يقول فى موسيقى منغومة وديباجة مشرقة :

لا تحزنى ليلاى وابتسمى ... وتجلدى للهول والألم
وإذا مشت فى الليل عاصفة ... وطغت على الأكواخ والخيم
ورأيت أشلاء ممزقة ... رعاشة مخضوبة بدم
فتصبرى وتحملى فغدا ... لا بد من ثأر لمنتقم

ثم يردف ذلك بأبيات رطبة حنون ، يفتح بها النافذة لروحها ، لتطل على دنيا أحلامها وأشواقها ، يقول :

إن السهول الخضر تنتظر ... وكرومنا والشط والشجر
والذكريات الهانيات بها ... والحب والآصال والبكر
وملاعب الأحلام تائقة ... تهفو لنا ، والناى والوتر
سنعود يا ليلى مع الفجر ... والزهر والحسون والقمرى
سنعود بالآمال باسمة ... فى موكب التحرير والنصر
سنعود أكبادا مؤججة ... تواقة للوطن الحر
وهناك نرفع راية طويت ... ونعيدها تزهو على الدهر

وعلى هذا الفرار تتواكد الآلام والآمال . ويراود الوحشة الحنين ، وتطفو على الحيرة العزيمة ، ويعلو النصر الهزيمة ، وترفع بعد النكسة الراية على ذرى هذه البلاد الشاعرية المقدسة ، بلد المعراج والكروم والزيتونة .

• •



مذبحة دير ياسين

ولا يشوقنا ما وعى هذا الديوان من محتوى وطني فقط ، وإنما يشوقنا ما يرقد فيه من جمال فني يلقى على هذا المحتوى وهجا وإشراقا ، ومايضم من قصائد فنية تعد من الروائع ، لما تحوى من تعبيرات دقيقة محددة ، وإيقاعات سيالة هامسة ، ونخص بالذكر قصيدته « عاد الربيع ص ١١٤ »

التى تأسرنا تجربتها الشعرية الناضجة ، وموسيقاها الناطقة ، ووحدتها العضوية ، وهى تلك التى استهلها بقوله :

عاد الربيع ولم يعد راع ... ولا عادت شياه
عاد الربيع . . . وليته ما عاد يغمرنا أساه
عاد الربيع ، وموطن الاحرار . . جرداء رباه
النبع جف ، فلا خرير على السهول ولا مياه
والناى ح . . . ولم يعد فى مسمع الدنيا غناه
والنازح المسكين ظمآن . . . يعذبه ظماه
هز الحنين فؤاده والجوع أعول فى حشاه

والدرة الفنية فى الديوان « من الحياة » ص ١٢٠ ، وهى نجاء هامس بين أخت وأختها ، تبث فيه لوعات قلبها وخواطرها الكليمة ، وتخيلاتها المؤثرة فى أنها ستموت ، وتدفن بعد أن تحطمت نفسها ، وأنشبت الحاجة مخالبها فى صدرها ، وهى قصيدة مليئة بالانفعالات المؤلمة ، وترقد فيها إيحاءات حيوية ذات أصداء بعيدة ، وتجملها إيقاعات ناعمة سيالة ، ووحدة تعبيرية أثيرية . ومن الجور الاقتباس منها ، لأن هذا يضيع من جمالها ، ومع هذا فنحن نستبيح لانفسنا أن نقطف استهلالها :

أختى إذا انتحر الشباب ومات فى ثغرى وغاب
ورأيتنى أمضى على درب الحياة بلا إياب
قولى : لقد ماتت هناك هناك من فوق الرصيف

كانت هناك ، تمد كفيها فلا تجد الرغيف
وإذا سئلت متى وكيف؟ تحسرى ... لا تنطق
ثم انظرى نحو السماء بلوعة ثم اطرقى
قولى : هناك رأيتها تذوى على شفة المغيب

وليست قصيدته ، أحزان لاجئة ، ص٣٣ ، أقل قيمة فنية من القصيدة السالفة ، لماتعي من مضمون إنساني مؤثر ، وأداء متموج متحرك . ويحدثنا الشاعر فيها عن لاجئة يتيمة ، فقدت أباها وآدتها البأساء ، وأخذ وغد دنيء يتابعها بحديثه السمج ، ويطلب اليها رقصة ، أو ليلة حمراء ، أو ساعة فى مخدع ... فتجيبه ، والنار فى دمها : « سر ياغبي ـ كفاك تؤلمنى ـ لو كنت تعرفنى ، لقضيت من ذعر .. فأبى الشهيد مضى وأورثنى قلبا قويا غير ممتهن ... ونقتطع منها بدايتها :

رباه ..
ضقت بعالم نتن
بالناس بالآلام بالفتن
بحديثهم عنى وعن وطنى
أنى اتجهت . . تظل تتبعنى
تلك العيون تظل ترمقنى
والهمس والتقريع فى أذنى ...!
دوما يحدثنى ...!

عن الثمن

وغد يراوغني

نذل يتابعني

عيناه ترهبني

نشوى تحدجني

ويظل يتبعني

عن ليلة حمراء يسألني

وضميري المذعور يوقظني !

* *

والحق أن هذه القصيدة ، وأخوات لها معدودة ، مثل قصيدته « معلقة لاجئة » ص ٥٦ ، « وزهرة لاجئة » ص ٩٠ ، وقصة ص ٥٠ ، هي قصص شعرية مؤثرة ، وتجارب مفردة ، تعد من المميزات البارزة لهذا الديوان ، وهي خير عندي من القصائد المطلقة المبثوثة فيه ، لأن مادتها مقبوسة من الواقع الخارجي والنفسي .. وفي قصيدته الأخيرة « قصة » يروي فيها مآسي الاستعمار ، وما فعل المستعمر بأسرة قتل ربها ، وزوجه ، ولم ينقذ غلامهما الصغير إلا حدب عمدة القرية عليه ، وقد جاء فيها على لسان هذا الغلام :

لن ينام الثأر في صدري وإن طال مداه

لا ولن يهدأ في روحي وفي قلبي لظاه

صوت أمي لم يزل في مسمع الدنيا صداه
وأبي مازال في سمعي وفي روحي نداه

* * *

ولا يتسع المجال لبيان ما حوى الديوان من قصائد أخرى متباينة في اتجاهاتها، متفاوتة في قيمتها الفنية، ولا يجوز لي أن أخفي أني في تلاوة



جرعة ماء

هذه القصائد رفرفت بجوانحي أرواح شعراء الوطنية الجهيرين، من أمثال حافظ، وأبي شادي، في مصر، ورشيد الخوري وإلياس قنصل في المهجر، والزهاوي والرصافي والجواهري والحبوبي في العراق، ولمعت أمام عيني ألوان طائفة أخرى من شعراء الشرق الممتازين، وبخاصة عمر أبو ريشة في حيويته، وسليم حيدر في إيحاءاته، ونزار قباني في أصالته. وأمين مشرق

فى دقة تعبيره ، والصيرفى فى نعومته وموسيقاه الأثيرية ، وشاكر السياب والبياتى فى طلاقتهما وترسلهما الأسلوبى، والتيجانى بشير فى وثباته ، وأحسب أن أرواح هذه الكوكبة من الشعراء طوفت برأس الشاعر ، ومست ريشته مسا خفيفا . « فمع الغرباء » رفت روح عمر أبوريشة ، وفى « مهاجرون » رفرفت روح السياب ، وفى « هنـــاك بلادى » روح نزار ، وفى « النسر الجريح » روح الشاعر القروى ، وفى « قصة » روح التيجانى ، وفى « جنبا إلى جنب » روح أمين مشرق ، وفى « أخى » روح الصـــيرفى ، وليس فى هذا التأثر ما يعيب مادام الشاعر جمل تجاربه فى استقلال وإخلاص فى النهاية .

وليس ريب أن المؤلف قد أغنى بديوانه دنيا الأدب ، وأن شعره سيكون له أثره فى شباب بنى وطنه وشوابه ، فى إذكاء روحهم القومى ، والعمل على تخليص أرض المعراج من سبة الاستعمار . كما سيكون له قدره لدى عشاق الفن الشعرى وسدنته . إنه نار ونور ، وشعلة للضالين فى الظلمات . إنه أقوى تذكرة وأغلى هدية لأبناء فلسطين ، بل أبناء الشرق الذين سمم الاستعمار نفوسهم بأفاعيله ومماوتاته :

إليهم وإن حطمتنا الخطوب وأرهقنا الحادث المؤلم
وجار علينا الزمان إلى العتى وأنهكنا الغاب والمبهم
إليهم سأشدو بشعر الحياة سأشدو وأشدو وأستلهم
فيصحو على شعرى السادرون ويستيقظ النفر النوم

---

# ديوان مع الغرباء

## بين الفن والوطنية

« للكاتب العربى الكبير الشاعر »

« عبـــد الله زكريا الأنصارى »

« رئيس تحرير مجلة « البعثة »

لم تصب الأمة العربية بنكبة - فى تاريخها الحديث - مثلما أصيبت به فى فلسطين !!.. وأى نكبة هذه النكبة التى نفذت تنفيذا دقيقاً ، بعد أن خططت على الورق ، ورسمت فى أذهان الصهيونيين مع أعوانهم المخلصين - الحلفاء - ولا ندرى حلفاء من هؤلاء الذين نكبوا العرب هذه النكبة القاسية ؟ أهم حلفاؤنا كما يدعون ، أم حلفاء الصهيونيين كما هو الواقع ؟ هؤلاء الحلفاء الذين لم يكتفوا بمص دمائنا ، واستنزاف خـــيراتنا ، واستغلال المعادن النفيسة التى تفيض بها أراضينا ، بل ألبوا حثالة البشرية ، ومشردى الآفاق علينا ، واقتطعوا جزءاً مقدساً من وطننا ، وسلبوه لقمة سائغة لهم . حيث شردوا مئات الألوف من أبناء العرب ، بعد ما طردوهم من مساكنهم وبيوتهم ، وسطوا على ممتلكاتهم وأموالهم .

والذى يحز فى النفس أن ساستنا - على ما يظهر - لم يعرفوا حتى الآن حقيقة هؤلاء الحلفاء الأوفياء !! أهم حلفاء العرب أم حلفاء الصهيونية البغيضة ؟

أم حلفاء مطامعهم وأغراضهم ؟ .

ولعل الذى أذهل ساسة العرب عن معرفة هـذه الحقيقة ، ماسيطر على عقولهم من غباء أو تغابٍ ، وما استولى على نفوسهم من هزل مرير . . .

والغباء لايقتصر على ناس دون ناس من هؤلاء البشر ، ولعله يصيب الكبار – فى أحايين كثيرة – أكثر مما يصيب الصغار ، ولعل ساسة العرب لايزالون يتمتعون بالطيبة وحسن الظن ، اللذين رفعاهم إلى مرتبة القديسين ، ومصاف ملائكة السماء الأطهار ، ذوى الأجنحة البيض الجميلة . . .

ولا يضيرنا أن نهزل هنا بهذه الكلمة الصغيرة كما هزل ساسة العرب وزعماؤهم ، حينما جيشوا الجيوش ، وسلوا السيوف ، وشرعوا أسنة الرماح ، وحملوا الألوية الخفاقة ، وبعثوا بسبعة جيوش جرارة ، أعمت الأبصار من كثرة ما أثارت حولها من غبار ، وأصمت الأذان من كثرة الصهيل الذى ينبعث من حناجر الخيل المطهمة . ولم يكتفوا بجيش واحد يدك حصون الصهيونية ، بل أرسلوا سبعة جيوش جرارة ، كاملة العدة والعدد ، ولم يكتفوا أيضا بقائد واحد ، بل أرسلوا قوادا متعددين ، وأرسلوا مع هؤلاء القواد قوادا « محنكين » جـدا من قواد الحلفاء الكبار الأصدقاء ، ليقودوا بعض هذه الجيوش أو كلها إلى النصر المبين ، ويسلموه « أى النصر » إلى هذه الجيوش المظفرة السبعة فى طبق مذهب جميل !!!...

ودار القـدر دورته ، ونجحت اللعبة ، وإذا الجيوش الجرارة السبعة

تعود منكسة الأعلام ، مطأطئة الرؤوس ، وإذا الجيوش الجرارة السبعة تعود منكسرة منهزمة ، أمام شراذم الأمم وحثالة البشرية ، التي أتت مطرودة من مختلف الديار .

وإلى هنا لا نستطيع الاسترسال في مثل هذا الكلام المرير ، الذي يحتاج إلى وقت طويل ، ويستوعب صفحات وصفحات ، لا تتسع لها هذه الصفحات المحددة لكلمة قصيرة عن هذا « الديوان » الجديد من نوعه ، الذي يضم مجموعة كبيرة من الشعر الحي في رثاء فلسطين الشهيدة ، ضحية القرن العشرين . . وهو أشبه ما يكون بملحمة شعرية واحدة ، لأن جميع هذه القصائد الأسيفة المؤلمة الباكية ، تدور حول هذا الجزء المقدس من بلاد العرب . . .

ولعل اليأس المرير ، والألم الممض ، بل الشك القاتل ، والكفر بحاضر الأمة العربية .. لعل هذه الأسباب جميعها دفعت شاعرنا العربي إلى تسمية هذا الديوان بعنوان إحدى قصائده الشعرية « مع الغرباء » ... ولا شك أن الشاعر يقصد بالغربة غربة الأسرة ، وغربة السكن — وإلا كيف يكون العربي في بلاد العرب في غربة ؟ !! وأخشى ما أخشاه أن يطبق علينا الأمر الواقع للأسف الشديد ، فنقول بغربة الفلسطيني وهو يسكن الشام ، وغربة العراقي وهو يسكن فلسطين ، هذا الواقع الذي ولده في النفوس رواسب الزمن ، وما تكدست فيه من ذكريات مؤلمة ، لا زالت تتجدد نتيجة الاستعمار والمستعمرين .

إننا لا زلنا نغط في نوم عميق ، وخمود ذهني عتيق ، ورجعية بالية ،

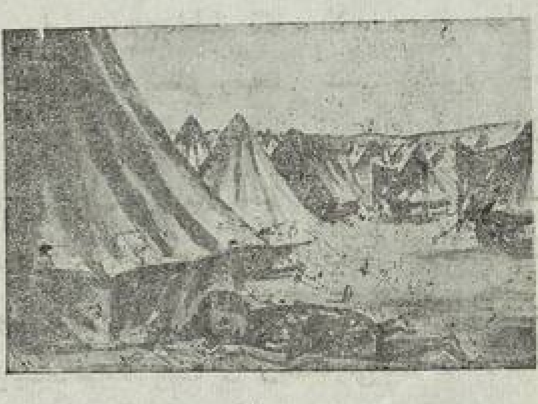
ويكاد اليأس يتسرب فى دمائنا ، ويجرى فى عروقنا ، لولا ومضات تلوح لنا من بعيد ، ويرسلها أحياناً بعض الشباب من أحرار العرب فى مختلف مضاربهم ، الذين ألهبت ظهورهم سياط الاستعمار ، فصحوا على صرخات هذه الضربات ، وأخذوا يفركون أعينهم بأيديهم ، ليطردوا منها بقية الكرى ، الذى لبث طويلا فى أجفانهم ، فراحوا يحاولون إيقاظ الهمم النائمة ، وإنهاض النفوس الراقدة ، وإشعال نيران الوعى القومى ، لدى شباب العرب ، الذين كاد أن يفسدهم شيوخه . . . ونرجو ألا يقف هؤلاء الشيوخ بعقلياتهم البالية حجر عثرة فى سبيل التقــدم ، وفك القيود ، وتحطيم الحواجز والسدود .

إن الأستاذ هارون هاشم رشيد أحد أبناء فلسطين المنكوبة ، ومن الذين ذاقوا مرارة هذه النكبة ، وقاسوا من أهوالها ماقاسوا من تشريد وتقتيل ، ولقد راح ينفس عن نفسه الأبية وماتفيض به من ألم وحزن ، بشعر حى صادق كل الصدق ، صادر من أعماق قلبه ... وما أكثر الدواوين التى صدرت فى بلاد العرب أخيراً ، ولكننا لانحس هذه الحرارة التى نحس بها ونحن نقرأ هـذا الديوان الشعرى ، الذى يزخر بالمشاعر ، ويفيض بالحيــاة الحرة الكريمة .

اقرأ قصائده مثلا : « مع الغرباء » ، و « قصة » التى استوحاها من مآسى الاستعمار البريطانى ، و « دموع ودماء » ، و « سنعود » ، بل غيرها وغيرها من القصائد ، فإنك تشعر بالروح الشعرية العالية ، وبالصور البديعة الرائعة ، وبالأنفاس المحترقة الحارقة

ولا نستطيع أن نعدد قصائد بعينها ، لنستدل بها على صدق العاطفة ، وقوة الشعر ، ومتانة الصياغة ، لأن قصائد الديوان كلها منبعثة من صدق الإحساس وعميق العاطفة .

والشعر لا يرقى الى مرتبته المثلى ، ولا يصل إلى مكانته الشعرية السامية ، إن لم يكن منبعثا من عاطفة صادقة جياشة ، وإحساس مرهف دقيق ، وعقيدة راسخة قوية .



بين الخيام

فالعاطفة تسبغ عليه الصدق ، وتجعله شعراً معبرا أصدق تعبير عما يجيش فى النفس ، وما يختلج فى الفؤاد .

والإحساس يضفى عليه الرقة والروعة والسلاسة ، فيجىء شعرا سهلا ، يمثل تسلسل الأفكار واتساقها دون غثاثة أو ركة أو تعقيد ، وينقل القارىء إلى جو من الشعر الرفيع ، والخيال البديع ، والجمال المطلق .

والعقيدة تدفع الشعر دفعا ، وتصبغه بصبغة الإيمان والقوة ، والاعتزاز

بالنفس ، والدفاع عن الحقوق بكل حرارة .

على أن شاعرنا الأبى لا يتخـاذل ــ كما كان يتخاذل غيره ــ أمام ضربات القدر ، ومعاكسات الحياة ، ونوب الدهر ، بل إنه كلما رأى البؤس ممعنا فى محاربة المشردين من أبناء العرب ، وكلما رأى التعاسة بادية على وجوه القوم ، وكلما رأى تـكالب الاستعمار يشتد ، ويكاد يبطش بطشته الأخيرة بالعرب ، كلما زاد إيمانه وهاجت عواطفه ، وأمعن فى التفاؤل ، كما يقول من قصيدته « إرادة الشعب » :

والشعب إن يرد الحياة فانه    لابد يبلغ ما يريد ويظفر
هى شرعة الكون العظيم ونهجه    شعب يسود وظالم يتقهقر
ومعاند يقضى عليه عناده    ومسالم يرمى العنيد ويقهر
وكريم نفس عف عن طرق الخنا    مترفعا عما يشين ويحقر
ومجـــاهد يمشى على جمر اللظى    ويشق دربا بالكفاح ويمخر
لم يثنه عن قصده ومراده    رعد يجلجل أو رياح تصفر

وليست هذه الأبيات هى وحدها التى يبسم فيها الأمل ، ويظهر فيهـا التفاؤل . . بل إن الديوان كله يزخر بمثل هذه الآمال الباسمة ، والتفاؤل الذى يبعث فى النفس السرور .

إن هذا الديوان هو الأول من نوعه فى وصف هذه المأساة العربية ، وما يعانيه إخواننا اللاجئون العرب من أبناء فلسطين الشهيدة .

وما أحوجنا إلى شباب يحس هذا الاحساس ، ويشعر هذا الشعور ، والشباب إذا صدق يستطيع أن يعمل المعجزات . . .

# وحى النكبة

## فى قصائد الديوان

« للكاتب العربى الكبير وديع »
« فلسطين ، عضو رابطة الأدب »
« الحديث بالقاهرة . . . . »

مامن ضمير حى فى العالم إلا هزته نكبة فلسطين الجريحة ، فانتفض انتفاضة الألم ، وأفاق كالمذعور مشدوهاً أمام محنة لم تعرف لها الانسانية فى التاريخ الحديث نظيراً ، مذابح فى إثر مذابح ، ومعارك تتلوها معارك ، ومآس تعقبها مآس ، وشعب أبى عزيز محصن بالخلق والدين والمال والوطنية يرمى للذئاب من البشر ، فتنهش أبدانه حية وتنهشها رمماً ، ثم تترك بقاياهذه الانسانية المعذبة نهباللعراء : بلافح حره ، وقارس برده ، وهادرسيله ووافد مرضه ، وقاتل جوعه ! فتتداعى أمامهم القيم واحدة واحدة ، وتنهار الآمال ، ويزول إيمانهم بالعدالة ، ولايبقى فى نفوسهم إلاشعور واحد عام هو الحقد يملى عليهم إجماعا على أمر واحد ، هو التأهب للثأر

فكيف لاتثور أمة فلسطين التى احتملت من النوائب مالم تحتمله من قبل أمة ، ولاأمة اليهود فى عنفوان سطوة النازية ، وكيف لايتنادى أهلها

أن هلموا نشعل النار في القلوب، ونضرم الكراهية في الصدور، حتى نسترد مع الغد القريب أرضا أعز علينا من فردوس مقيم، وحتى نرفع الرؤوس التى حنتها ذلة الاستعباد بمشهد من «الأمم المتحدة» و «العالم الحر» و «مملكة العدل» و «الحريات الاربع» و «ميثاق الاطلنطى»... وحدث عن هذه الآمال الكاذبة ما تشاء؟.

إن دماء شهداء «دير ياسين» و «المجدل» والقسطل» و «القدس» وكل شبر من أشبار هذه الارض المقدسة - التى دنسها رجس الحرب الغشوم - لتصرخ أعلى صراخ أن انقموا من الغزاة، واستردوا أرض الآباء والأجداد، التى كنتم على مقدساتها حراسا ولا تزالون، والتى اختلطت تربتها بدماء الأبناء وعرق الآباء وأجداث أجيال تلو أجيال، وهى لعمرى أرض قدست بالدماء الزكية، وبالمعابد التى لم تنج حرمتها من عدوان الباغين الطغاة.

ولكن، لمن الله السياسة وأحابيلها، فكلما انغمس الشرق فيها باعدت الأيام بينه وبين المحنة حتى ليخاف ذوو الحمية أن تخمد الجذوة، وتنطفىء الشعلة المضرمة فى القلوب.. ولذلك قام أدباؤهم وشعراؤهم فى كل صقع عربى يذكرون بنكبة فلسطين ويشيعون الحماسة فى الصدور حتى لا تعدو الأيام بكرها على هذا الوطن العزيز. فنشطت أقلام المفكرين من أمثال قسطنطين زريق وقدرى حافظ طوقان وفؤاد صروف ومحمد على الطاهر ونقولا الحداد وخليل ثابت؛ تريد أن تستمد العبرة من كارثة فلسطين، وتنشد تحذير العروبة من الاستكانة لعار الهزيمة، حتى وإن وقف لهما

بالمرصاد ساسة الغرب . ولم يتخلف فى هذا المضمار شعراء العروبة عامة ، وشعراء فلسطين على وجه أخص ، الذين ثكلتهم النكبة فانفعلوا يرددون قصيدة الحماسة ، وينشدون الملاحم منفطرين على اقتطاع هذا العضو من جسم الأمة العربية ، منذرين المعتـــدى الغصوب بيوم النقمة ، حاثين الشبيبة الناشئة على أن تعتصم بحبل الايمان — وإن تفرقت — وأن تتأهب لليوم الموعود ، وما هو إلا يوم استعادة الأرض الطيبة .. ومن هؤلاء الشعراء : فدوى طوقان، وابراهيم العريض، وتوفيق معين بسيسو، وعلى هاشم رشيد، وبولس سلاحه وهارون هاشم رشيد صاحب هذا الديوان ، وإنها لعصبة كريمة من شعراء الطليعة ، وقفت معظم شعرها على الوطنيات . وشاركت فى تأييد كل حركة انتهاضية تحريرية عرفها العالم فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة .

وهارون هاشم رشيد شاب فى ريق الشباب ومؤتنق الفتوة ، طربت لشعره يوم صافحنى فى كثرة من الدوريات الأدبية التى أطالعها ، ونعمت بمودته حين اتصل بيننا حبل الكتابة ، وحظيت بصداقته حين زار مصر فى العام الماضى لأيام قصار . شاعر سكب آلامه وآماله فى شعر نضيد العبارة ، مجلو البيان ، سريع النغم ، دفاق بالحماسة ، يضرب على أوتار رخيمة ، فيستجمع من القارىء كل انتباهه . وكلما خلوت إلى النفس ؛ وذهب خاطرى يردد قصائد لهارون رشيد استذكرتها غب تلاوتها : كقصيدته الرائعة « مع الغرباء » ، التى يستفتح بها هذا الديوان متسائلا : « لماذا نحن يا أبتى ؟ لماذا نحن أغراب ؟ » ، وقصيدته « إلى النازحين » التى يخاطب فيها

إخوته فى الكويت واليمن والحجاز وعدن ، يقول لكل منهم : « سألقاك يوما قوى الجناح عزيزا ، هنا ، فى رحاب الوطن » . وقصيدته الموسومة « نشيد فلسطين » التى فيها يقسم يمينا مغلظا لبلاده بأنه لن يلقى السلاح قبل أن ينشر أنوار الصباح وينقذ هاتيك البطاح ، بالجهاد والنضال والكفاح .



أين أبى ؟

وقصيدته « إلى أين » التى يكاد القنوط فيها يستبد به ، بحثا فى الكون عن موطنه ، ولكنه سرعان ما ينتفض انتفاضة اليقين مرددا : « دولة الظلم ، وإن طالت ، ستهوى للفناء » .

ويستهويك فى هذا الديوان ظواهر لابد أن تبدهك . فالشاعر شاب يتقد

حيوية وحماسة ، ولهذا لايخاطب فى الديوان إلا الشباب ، كأنما فقد مع أقرانه كل ثقة فى زعامة المتزعمين ورياسة أهل السياسة ، فهو يناشد الشباب أن هبوا ، ويعقد عليهم آماله كلها . فهم الأمل المرجى ، متى تقحموا أزيز الرصاص ، وناضلوا عن الحق واستشهدوا ، ثم إن الشاعر يخاطب كل فرد خطابا مباشرا ، فيقول : أخى ، ياصاحبى ، أبتى ، أمى ، لأنه متيقن من أنه يخاطب أناسا يراهم أمامه رأى العين ، ويستجيبون له إذا دعا ونادى .

والشاعر فى ديوانه واقعى غير نزاع إلى الخيال ، الصورة السوداء الكالحة يرسمها سوداء كالحة ، كقصيدته « زهرة لاجئة » أو قصته التى حدثت من عشرين عاما . ولكن هذه الواقعية المتشحة بالثياب السود ، لاتزيده إلا إيمانا بالنصر لايفل ، فيهتف « من كهوف البؤس من ليـــل الخيام » : « إنما النصر لنا . إنما النصر لنا » . ويصرخ بصوت مدو : « غرباء ، غدا نعود إلى الأرض . . إلى المجد ، أو نموت ونفنى » . فهى واقعية تمهد بدورها لإيمان واقعى مستند إليها معتمد عليها ؛ وهو إيمان إن اجتمع عليه شبيبة العرب ، أنقذوا الفريسة من بين براثن مفترسيها ، وحققوا نبوءة الشاعر هارون هاشم رشيد ، حين يترنم فى ثقة وإصرار وأمل :

ولن يقتلنا جوع ولن يرهقنا فقر
لنا أمل سيدفعنا إذا ما لوح الثأر
فصبرا يا ابنتى صبرا غداة غد ، لنا النصر

هـذا شعر يأخذ بمجامع النفس ، وتنتشى له أفئدة القارئين نشوة تحدو إلى انتضاء السيوف . وألمع سيوف العرب هو سيف الحق . وقد ملأ الشاعر الفارس هذا الديوان طاقة شعرية تكاد فى انطلاقها تزاحم



لاجئ

الطاقة الذرية ، ولاغرو ، فهذا شعر من الحماسة افتقدناه طويلا ، ولم نعرفه إلا من وحى النكبة .

# شاعر الفن والحرية

## فى ديوانه « مـــع الغرباء »

« للكاتب الكبير رضوان »
« ابراهيم عضو رابطة الأدب »
« الحديث بالقاهرة . . . »

فلسطين . . ! !

هذا الجرح النازف فى قلب العروبة الجريح . .

هذه الصرخة المدوية فى أضاء مظلم ، تبعثرها الرياح فتتردد أصداؤها ، مخاوف ليل طويل مقرور . .

هذه اللطخة المهينة فى جبين الانسانية ، وجناية إنسانها المتحضر . .

هذه الأنات المتحشرجة فى حلوق اليتامى والأيامى والثكالى . .

هذه الذلة التى جللت بالعار جبين العرب ، وطبعت على رقابهم ميسم المهانة ، حتى يأذن الله ، فتنبت من أجلاد الصحراء وحنايا المغاور يد قوية تغسل عن رءوس العرب عار العبودية ، وتنفض عن أرضهم هذا الجراد الوافد ، وهذه الحثالة التى تقيأتها المدنية الغربية على مقدسات الشرق .

ولكن .. أين ؟ .. وأيان ؟ .. وكيف ؟

هذا التساؤل المرير يفتعل أزمات روحية وعقدا مستعصية يرزح في نيرها شباب هذا الجيل الواعي ، لكنها — لابد — ستحدث تحولا عجيبا في تاريخ الشباب العربي ، فإن الكارثة قد خلقت في وعيه آثارا نفسية غريبة ، تشبه إلى حد بعيد تلك الآثار البدنية التي خلقتها التجارب الهيدروجينية الأخيرة في صيادي اليابان .

وهذه العقد إما أن تجد لها متنفسا في واقع حياتها ، فتنعكس نورا يهدي ونارا تطهر ، وتتمثل عملا يحقق كل أماني العرب في ديارهم وأنفسهم وإما أن تعتمل داخل النفوس ، فتحور سرطانا يهد كيان الجنس العربي ؛ ويترك حطاما وبقايا ، ونفايات مهينة على ثرى الانسانية .

وهذا الجيل العربي بعد الكارثة يعيش في نقطة تحول خطير من حياته . يدور حول نفسه في دوامة عاتية عجيبة ، لاتدع له الاستقرار ، أو التفكير فيما يشبه الاستقرار . فحتى متى سيظل يدور دوراته قسرا مع العاصفة ؟ ؟

المتفائلون يرون النهاية قريبة . وحاسمة ، ومنتصرة !!

والمتشائمون يشيرون بأصابع سوداء إلى أفق غائم مدلهم ، يعرج إليه طريق وعر طويل ، ينتهي إلى متاهة مفزعة رهيبة ، بعثرت في حناياها مقابر الآمال ! !

والآن . . ماذا يملك الشباب العربي لهذه الرحلة المضنية من ماديات ومعنويات ، يستضيء بها طريقه ، ويتحسس في هديها آماله ، ويتماسك بها في دوار الدوامة العاتية ؟

أما المقومات المادية فلا شيء .. ولا شيء .. ولاشيء !

وأما المعنويات . فروح حائر بين التفاؤل المسرف الذى يغمض عينيه متثائبا ، ويروح فى سبات تتخلله لمع من الأحلام . . وبين التشاؤم المتقاعس الذى يعصب عينيه ، ويروح يصرخ ويصرخ فى وادى الأوهام ، والعدو من ورائه يعمل .. ويعمل !



طفلة .. إلى المستشفى

ومن طوايا ضباب الاحلام الناعمة التى يعيشها المسرفون فى التفاؤل ، وحنايا الظلام والعويل التى يتخبط فيها المتشائمون - تلتمع بوارق أمل جديد من الوعى فى تلك الارواح المضيئة بإيمان الوطن العربى ، تنطلق فى الناس بصوت كالزئير ، وقوة كالعاصفة ، توقظ السادرين فى سبات الاحلام ،

والغارقين فى خضم الظلام ، تكتل قواهم ، وتدفعهم أجمعين فى طريق سوى إلى غاية .. إلى الجولة الثانية !

وبين هؤلاء شعراء وكتاب ، لا يملكون سوى أقلامهم يغمسونها فى دمائهم ، وينضحون بها فيض دموعهم وعصارة أرواحهم ، يغنون بها الشعوب العربية الكادحة المفدوحة المرهقة أمجادها المضيعة فى غبار النكبة ، أو يستلهمون عزة الأمس البعيد ، وأمل المستقبل القريب ، ينسجونها أناشيد ثائرة وألحانا فوارة .

وقد كان الأدب الحديث يمتحن بمأساة فلسطين امتحانا عسيرا ، ويجتاز تجربة يتبين من نتائجها صلاحيته أو عدم صلاحيته للحياة ، تخرج من غبارها قويا ، يؤكد وجوده ويثبت حيويته ، ويحقق صلاحيته لا لمسايرة الحياة العربية المكافحة فحسب ، بل لقيادتها نحو مثل أعلى وهدف منشود .

فإن فلسطين منذ ابتليت بذؤبان الاستعمار وثعالب الصهيونية وهى لحن مرتعش أحمر على شفاه الشعراء ، وقبل أن تنال من عناية السياسيين ورجال الحرب القليل أو ما هو أقل من القليل ، كانت وحى الشعراء الثائرين والأدباء الاحرار فى شتى أقطار العروبة ، وتلاقت على ربواتها أنغام مهموسة ومجهورة وصاخبة ، فكانت لحنا متساوقا يلهب الدم العربى ويدفعه للحرية ، ويحفزه للحقد والنقمة والدم والثأر ، يعزفه جيل صاعد من الشعراء ، يميزه تفاؤل متئد ، واعتداد بالنفس العربية ..

ومنذ جلجل اللحن الثائر الذى أطلقه المرحوم على محمود طه فى مصر يهتف :

وليسوا بغير صليل السيوف يجيبون صوتا لنا أو صدى
تجرد حسامك من غمده فليس له بعد أن يغمدا
أخى قم إلى قبلة المشرقين لنحمى الكنيسة والمسجدا
فلسطين يفدى حماك الشباب وجل الفدائى والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور فإما الحياة وإما الردى

مكملا لأنغام إيليا أبى ماضى المنطقية الهادئة المتزنة وهو يناقش ويجادل :

وكانت لأجدادنا قبلنا وتبقى لأحفادنا بعدنا
وإن لكم بسواها غنى وليس لنا بسواها غنى
وإن تأخذوها بسمر القنا نردكمو بطوال القنا
وإن تحجلوا بيننا بالخداع فلن تخدعوا رجلا مؤمنا

يساندهما لحن منبعث من أقصى الشرق العربى فى ملحمة «أرض الشهداء» لشاعر البحرين إبراهيم العريض :ـ

يا فلسطين وما كنت سوى بيعة الارض على كف السماء

ويقف على أثرهم من قمم الارز شاعر لبنان بشارة الخورى ، يطوى صفحة الهوى والشباب ، وينتفض صارخا :ـ

فلسطين أفديك من دمعة تهاوت على بسمة حائرة

وعلى هذه الاوتار يضرب شاعر المعركة الفلسطينى معين بسيسو متغنيا :ـ

أخى فى الكفاح أخى فى العذاب أتسمع مثل عواء الذئاب ؟

تفزع أطفالنا النائمين وتنذر أحلامهم بالخراب

ويفتح أعينهم فى الظلام دوى الرصاص ولمع الحراب

.. منذ ثار الادب من أجل فلسطين هذه الثورة ، عرفت الجماهير فلسطين ، وأحست أنها مقدمة على كارثة ، وصارت فلسطين أنشودة على كل شفة حزينة .

فماذا أعد لها رجال الحكم وقادة الحرب وزعماء السياسة ؟

لاشىء .. بل خنقوها بأيديهم من حيث لا يشعرون ، فإذا هى فى أعينهم جثة باردة ، وفى أنفسهم حسرة ، وألم ، ويأس .

نعم .. يئسوا ، ولكن الادب لم ينكل بعد .

فهذا لحن جديد ينبعث من غمار المعمعة الجديدة ، التى أسفرت عنها مهزلة الحرب التى شبت نارها على أرض فلسطين ..

من خيام اللاجئين وكهوف المشردين ، انطلق ديوان « مع الغرباء » للشاعر الفلسطيني « هارون هاشم رشيد » ، الذى نسج من آلام الجائعين وأنات اليتامى ، ودموع الثكالى ، ومن صرخات المعدات الخاوية ، وصور الابدان العارية ـ طاقات من الكلمات المتفجرة ، ذات الدوى العارم فى آذان الغافلين من مترفى العرب . وذئاب الغرب ، فكان بذلك رائدا من رواد هذا الموكب ، غنانا أروع أناشيد المأساة وأشجاها ، وقد جاء ديوانه فى إبانه ، يثير النفوس العربية لمعركة جديدة ، ويخلصها من أزمة محتدمة تغلى فى حناياها ، ولا تعرف سبيل الانطلاق .

ولم يكن أحد ــ بحق ــ مع الغرباء ، يحس آلامهم ، ويأسو

أرواحهم ، ويعصب جراحهم ، ويمهد أرواحهم لغد حاسم ؛ مثلما كان هذا الشاعر الذى تطالعك منه هذه القوة المتوثبة المصممة :

إليهم . . إلى إخوتى اللاجئين      إلى إخوتى يوم يدعو الدم
إليهم ، وإن حطمتنا الخطوب      وأرهقنا الحادث المؤلم
إليهم سأشدو بشعر الحياة      سأشدو . . وأشدو ، وأستلهم
فيصحو على شعرى السادرون      ويستيقظ النفر النوم

لقد كان معهم يروى قصة الغربة الدامية ، مصورة فى هذه اللجلجة التى يضطرب بها لسان ليلى ، وعشرات الآلاف من الليليات الأخر ، تتساءل فى سذاجتها المثيرة :ـ لماذا نحن يا أبتى . . لماذا نحن أغراب ؟؟

ولم يكن معهم وحده ، وهو يصور الخطوط الدقيقة لحياتهم المحتضرة فى شتاء قاس ، لا يملكون له ردا ، ولا يستطيعون عنه متحولا ، وحين صور البقايا المبعثرة من شعب عريق ، تهاجر . . تهاجر ولا تدرى إلى أين؟ ولا تشعر إلا وهى فى التيه الذى كتب على اليهود ، غير أن تيه اليهود انتهى بدولة إسرائيل ، لكن تيه العرب ما مداه ؟ وما منتهاه ؟ لا ندرى . .

وحين سجل وسوسات وأحزان لاجئة ، تهمس لنفسها ، ولكن همسها يستعلن ، وتلتقطه أذان الشاعر ، فيذيعه فى الناس ، لا لأنها فضحت نفسها ، بل لأنها صورة من آلاف لا تقوى على الكتمان ، فتنشج وترفع الصوت عاليا بنشيجها . .

أجل لم يكن معهم وحده ، وإنما كنا جميعا معهم ، فقد أفلح فى اجتذابنا إلى محيطهم ، وجعلنا سواء فى آلامهم ، ونحن لا ندرى أمن هول الكارثة تسيل مدامعنا ، أم من قوة التصوير ، وروعة التعبير ، وسحر البساطة ؟ .

تنقل معنا فى صفحات هذا الديوان وأبياته ، وكلماته ، فلن يخطئك

هذا السمت الذى ولى الشاعر شطره ، لايحيد ولا يميل ، ولا يتلكأ .

فى قصائده : هناك بلادى ، وصخرة الانتظار ، وعيد الفطر ، ولاجىء فى العيد ، ودموع ودماء ، ومعلمة لاجئة ، ولاجىء ، وزهرة لاجئة .

فى كل هذه وغيرها تلمس اتجاهه واضحا نيرا فى تصوير الجحيم الذى يصطليه القوم بعد المأساة .

ولتعرف أن ليست هذه عاطفة مفتعلة فى نفس الشاعر ، أو بكاء خادعا فى مآقيه .. تلمس الجذور الأولى للمأساة تنشب فى روحه منذ أمد طويل .. منذ تفتحت عيناه على مآسى الاستعمار وقسوته ومؤامراته ، فى « قصة » التى دبجها الألم وصنعها على شباة قلمه ، مصورا بها مآسى الاستعمار فى فلسطين ، ففيها السر الكامن وراء اندماج الشاعر فى موضوعه الكبير ، وقوة العاطفة التى ينضح بها موضوعه ، فيشجيك ويبكيك ، وأنت تقرأ كلماته السهلة الساذجة ، التى تأتى من وراء العاطفة بلا تكلف ولا افتعال .

وهنا تنتهى فترة لتبدأ فترة خطيرة من المأساة ، فلو أن الشاعر وقف عند هذا الحد لبقى شاعرا فى السفح كشعراء الطلول الباكية ، لكنه لم ينح فينا نواح العجائز النادبات ، ولم يقف عند بكاء الديار والتوجع للكارثة ، بل حفز وحض وبشر وأنذر ونادى ، حتى أشاع فلسطين أنشودة شجية على شفاه الملايين ، ثم حلق فرسم لنا طريق الكفاح للخلاص . وكان قويا عميقا ثائرا عنيفا وهو يشق طريقنا وطريقه فى الصخور ، وفى الوهاد وفى القمم ، على الأشواك المسنونة ، والنيران المستعرة .

وكذلك كان مخاطرا يستلذ المتاعب لأنه ذو هدف ..

فالعودة ، والثأر ، والانتصار بأى ثمن : هى هدف الشاعر ، وهى هدف البطل ، لأنها أمنية العرب ، إن تخلوا عنها تخلت عنهم إنسانيتهم وعروبتهم

وأمجاد تاريخهم . واقرأ معى قصائده : «سنعود» ، و «أخى» .
و «سنعود مرة أخرى» . وقصيدته المعنونة «سنذيقهم مر العذاب» .
فإنها ترينا مدى الإصرار الذى يرتكز عليه الشاعر وهو يندفع تأثراً عاصفاً هازئاً بالقيود . ساخراً من هذا الضعف الخائر الذى طاوع به العرب .

وليست ثورة عمياء تلك التى يشبها الشاعر ، ولكنها الثورة المتبصرة التى ترسم المنهاج ، وتحدد الهدف ، وتقدر الاحتمالات المفاجئة ، فالصبر والتدبر ، والتكتل ، والتسلح ، والانتهاز : من وسائل الشاعر إلى النصر .

ولم يكن شاعراً إقليمياً بالرغم من موضوعه ، ولكنه ذو أفق أوسع يندمج فيه مع جماهير الوطن العربى الأكبر وهو يهتف :

أخى فى الكويت . . أخى فى اليمن أخى فى الحجاز أخى فى عدن
سألقاك يوماً قوى الجناح عزيزاً هنا فى رحاب الوطن

ثم ينادى: أخى فى القنال تشق الطريق إلى ذروة المجد والسؤدد
تقحم .. تقحم أزيز الرصاص وناضل عن الحق واستشهد

فالعرب إخوة تربطهم أوثق الأواصر . وهى طريقهم إلى الثأر والنصر والمجد .

والشاعر قومى اجتماعى لا أنانى ، ولكنه لا ينسى أن يغنى عواطفه الخاصة أغنيات تلطف من حدة النضال ، وحتى هذه الترنيمات يصبغها بصبغة موضوعه صبغة الثورة !

وقارىء ديوان هارون لا يفوته أن يلمس هذه الثورة العارمة فى كل ما يقرأ .. فى موضوعه ، وعاطفته ، وأخيلته ، وأسلوبه ، وحتى ألفاظه .

ولا يعيبه أن يتخذ هذه الألفاظ دليلا على نفسه الثائرة ، فاللهفة ، والألم والاحتدام والحرية والثورة والعزة والجموح والصراخ والكفاح والعواصف والرعونة والثأر والدوى والطموح والتقحم .. ومشتقاتها ،

تشيع فى شعره ، وتختلط بالأطار اللامع من نسجه الرقيق الذى يصب فيه نفسه صبا أملس ناعما ، ينبىء عن طبع رقيق مهذب، حين أرادته قسوة الحياة أن يلبس لبدة الأسد .. وإحكام النسج فى شعره تصاحبه طبيعة ساذجة محببة ، تقربه إلى القلوب وتصل به إلى هدفه ، إلى قلوب الجماهير من أيسر السبل .

كما تأتى قوافيه طيعة ، تلائم هذه الأوزان القصيرة التى اختارها إطارا لموسيقاه الحلوة الرنانة الآسرة ، وبذلك تكامل له انسجام طبيعى بين الجوهر والمظهر .

والصور مبثوثة فى حنايا الديوان بطريقة هادئة متوازنة متكاملة ، وهى وان لم تكن كثيرة متزاحمة كصور المعارض ، إلا أنها سارة مريحة كتحف (الصالون) .. وقصيدة «أحزان لاجئة» تمتاز بحيوية نابضة ، تلمس مثلها فى حرارة قصائد الشاعر نزار قبانى .

ولقد يعترى صورته أحيانا بعض الوهن ، من خطوط باهتة ، أو فضول يجر بها أذياله . ولكن ذلك لاينقص من وضوحها وجمالها وفتنتها .

ومثل هذه اللفتات لاتنفى أن كل صوره جميل ، وأجمل منه الواقعية التأثرية فى مطولته «قصة» التى تنبع من أعماق الصبا ، وتروى مآسى الاستعمار فى أرض السلام ، كما مثلتها من قبل على مسرح دنشواى .

وتسلسل القصائد فى الديوان يروى تاريخ شاعرية الشاعر فى هذه الفترة الناضجة من حياة شعره ، ويريح مؤرخه ، ويضع يده على الأعراق النابضة فى هذه الشاعرية .

وبعد : فلا أضع القلم حتى أهنىء هارون بديوانه الحى ، وفلسطين بنشيدها الجديد ، والشباب العربى أينما كان بهذا القبس المتوهج ، الذى يشرق من أرض السلام ؟

# هذا الديوان

بهذه القصائد الجديدة فى الشعر العربى والمعاصر ، وبما نشر معها من دراسات نقدية . بقلم طائفة من النقاد والأدباء والكتاب ، يظهر ديوان « مع الغرباء » ، للشاعر الفلسطينى الموهوب هارون هاشم رشيد ، فى أجمل رونق ، وأروع صورة ، محلى بالعديد من اللوحات الفنية النابغة .

وقد لقى الديوان من رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ماهو حرى به من عناية ، لمكانة فلسطين العربيـــة العزيزة ، فى قلب كل عربى ؛ ولمنزلة الشاعر هارون هاشم رشيد فى الشعر الفلسطينى ، بل فى الشعر العربى المعاصر ، التى من أجلها اختاره الأستاذ الكبير، محمد ناجى رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، عضوا فيها .

ولا شك أن ظهور الديوان حدث أدبى جديد فى الأدب الفلسطينى ، بل فى تاريخ فلسطين الراهن ، وسيكون بإذن الله بدء البعث فى حياة فلسطين الحرة الكريمة ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

# فهرست الديوان

## استدراك

| ص | س | الكلمة | صحتها |
|---|---|---|---|
| ٣١ | ٢ | ومهاجرين معربن | ومهاجرون معربدون |
| ٤٣ | ٥ | خانيوس | خانيونس |
| ٥١ | ١٢ | قليلا | فقليلا |
| ٥٣ | ١ | ابتسمت | بسمت |
| ٩٦ | ١٨ | يطرف | يطوف |

ظهر حديثاً

# مصارع الظلم

للأديب التونسي الكبير الأستاذ

## ابو القاسم محمد كرو

عضو رابطة الأدب الحديث

---

نشر
مكتبة الفرجاني
طرابلس الغرب - ليبيا

المطبعة المنيرية بالأزهر ــ القاهرة